سلسلة عجائب ٥

أعجب العقائد الخاصة

راجي عنايت



للطباعة والنشر والتوزيع

سلسلة عجائب (٥)

أعجب العقائد الخاصة

راجي عنايت



اســم الكتـاب: أعـجب الـعـقـائـد الـخـاصـة.
سـلـسـلـة: عجـائـب (٥).
المؤلـف: راجـى عنـايـت.
إشـراف عـام: داليـا محـمد إبراهيـم.
تاريـخ النشـر: الطـبعـة الثا[illegible] 2008
رقـم الإيـداع: ٢٠٠٦/٢٢٨٧٦
الترقيم الـدولى: ISBN 977-14-3866-2

الإدارة العامة للنشر: 21 ش أحمد عرابى - المهندسين - الجيزة
ت: 33466434(02)-33472864(02) فاكس: 33462576(02) ص.ب: 21 إمبابة
البريد الإلكترونى للإدارة العامة للنشر: publishing@nahdetmisr.com

المطابع: 80 المنطقة الصناعية الرابعة - السادس من أكتوبر
ت: 38330287 (02) - 38330289 (02) - فاكس: 38330296 (02)
البريد الإلكترونى للمطابع: press@nahdetmisr.com

مركز التوزيع الرئيسى: 18 ش كامل صدقى - الفجالة - القاهرة - ص. ب : 96 الفجالة - القاهرة.
ت: 25909827 (02) - 25908895 (02) - فاكس: 25903395 (02)

مركز خدمة العملاء: 25909827 (02)
البريد الإلكترونى لخدمة العملاء:
customerservice@nahdetmisr.com
البريد الإلكترونى لإدارة البيع: sales@nahdetmisr.com

مركز التوزيع بالإسكندرية: 408 طريق الحرية (رشدى)
ت: 5462090 (03)
مركز التوزيع بالمنصورة: 13 شارع المستشفى الدولى التخصصى - متفرع من شارع عبد السلام عارف - مدينة السلام
ت: 2221866 (050)

موقع الشركة على الإنترنت: www.nahdetmisr.com



أسسها أحمد محمد إبراهيم سنة 1938

مقدمة

أعجب العقائد الخاصة

«الجماعات والعقائد الخاصة» تعبير نستخدمه فى هذا الكتاب لترجمة (CULTS) الإنجليزية، والتى ستكتشف حيرة المعاجم والقواميس فى تعريفها!.. قاموس ميريام – ويبستر على الإنترنت، يعطى خمسة تعاريف، بينما يعطى قاموس راندام هاوس ثمانية.. ودون أن أدخل القارئ فى تلك الدوامة، دعونا نقول إن العقائد الخاصة تنضوى تحت لوائها مجموعة متماسكة من البشر، تكرس حياتها لعقائد أو ممارسات، تعتبرها الثقافةُ السائدة، أو المجتمع الذى تظهر فيه، خارجة عن الإجماع، أو عن التيار العام للبشر فى ذلك المجتمع.

ولا شك أن طرح تفاصيل مجموعة متنوعة من هذه العقائد، قديمها وجديدها، الذى شاع منها فى الشرق، والذى نشأ وازدهر فى الغرب.. لا شك أن هذا سيعطى القارئ فكرة واضحة عن تلك العقائد الخاصة، بصرف النظر عن قبولنا لمنطق قيامها، أو رفضنا لأفكارها.

لكن الذى لا بد أن نعرفه، ونقبله أيضًا، هو أن التطور الذى يمضى فيه الجنس البشرى، مع تحوله من حياة عصر الصناعة إلى حياة عصر المعلومات، يؤكد تضاعف مثل هذه العقائد الخاصة

آلاف المرات.. كما يؤكد أن طبيعة الحياة فى مجتمع المعلومات ستكون أكثر قبولاً وترحيبًا بالاختلاف عن التيار السائد.

والكاتب المستقبلى الشهير ألفين توفلر، له تعبير رشيق وجديد عن هذه الظاهرة المتنامية التى أتحدث عنها، عندما يحكى عن تحول البشر: من البوتقة، إلى وعاء سلَطة الخضر!

فهو يقول إن صالح المجتمع الصناعى، والاقتصاد الصناعى، كان يقتضى «النمطية»، أو القولبة، أو جعل البشر آحادًا متطابقة كلما أمكن ذلك.. لقد كانت النمطية سمة كل شىء فى حياة المجتمع الصناعى.. المدارس، والمستشفيات، ومحطات السكة الحديد، والملابس والأدوات التى نستخدمها.. لقد كان هناك دائمًا النمط الأمثل أو المعتمد!

لقد قادت ثورة المعلومات إلى التنوع فى كل شىء، فى شكل وطراز الأشياء التى نستخدمها (فى هذا، انظر إلى الشكل الوحيد للتليفون الأسود التقليدى الذى لم نكن نصادف غيره فى شبابنا، ثم انظر إلى التنوع الشديد فى الأنماط والأشكال الحالية لأجهزة الاتصال التليفونى).. كذلك قادت ثورة المعلومات إلى تنوع أنماط العلاقات الاجتماعية وتعددها.. وأيضًا تنوع البشر، وتمردهم على القوالب المعتمدة، باعتبارها الشكل الأمثل للآدمى السوى.. من هذا المنطلق نتوقع أن يتسارع تضاعف الجماعات والعقائد الخاصة، ويتسع نطاق تسامح المجتمع معها.. وهذا هو ما يشير إليه توفلر بقوله «وعاء سلطة الخضر»، أى أن يقبل المجتمع بوجود تجمع لكل ما هو مختلف داخله،

علـى أن يـحـتـفـظ كل عنصر بـخصـائصـه، دون سعـى إلـى إلـغـاء معالمه داخل بوتقة الانصهار النمطية.

هذا التحول الكبير سينعكس بلا ريب على أشياء كثيرة فى حياة البشر، ومن بينها مدى قبول العقائد المختلفة، وتعايشها السلمى فى المجتمع.. أى الاعتراف بحق الاختلاف.

والسؤال الذى يطرح نفسه هو: هل سيقود هذا التسامح من جانب المجتمع إلى الحد من ظهور الجماعات التخريبية، والمبشرة بالكوارث الكبيرة وبقرب يوم القيامة؟.. هل سينتهى ما نشهده طوال نصف القرن الماضى من جماعات تساق إلى حتفها برضاها، وتنتحر استجابة لمن تحركهم أمراضهم النفسية والعقلية؟

هل ستختفى عمليات الانتحار الجماعى الحديثة، والتى قام بها أعضاء جماعة «بوابة السماء» عام ١٩٩٧؟ أو مذبحة جماعة «العائلة»، التى حدثت عام ١٩٦٩، بالقرب من مدينة لوس أنجلوس، وعثر فيها على خمس جثث، من بينها جثة الممثلة المعروفة شارون تيت؟.. وهل تتوقف العمليات الانتحارية التى يقوم بها البعض لأهداف سياسية، نتيجة لغياب قدرة التعبير عن الذات بشكل سلمى وطبيعى.. والتى يمثلها ما كان يفعله الحسن بن الصباح فى قلعة (الموت)؟ أو العمليات التخريبية القائمة على أساس التعصب الدينى، كملاذ أخير، نتيجة للمظالم الفادحة التى ترتكبها حكومات الدول الكبرى مع شعوب العالم الثالث أغلب الظن أن هذه الانحرافات

البشرية سيتصاعد عددها فى مرحلة التحول من أسس حياة الصناعة، إلى الأسس الجديدة لحياة مجتمع المعلومات، على أن تنحسر مع استقرار الأسس الجديدة.

لكن الأرجح هو أن الجماعات والعقائد المرتبطة بتحقيق الذات ستتكاثر بشدة، نتيجة لانقضاء سيادة النمط الواحد، وستصبح ظاهرة إيجابية، كما ستكون السبيل إلى إثراء حياة البشر.



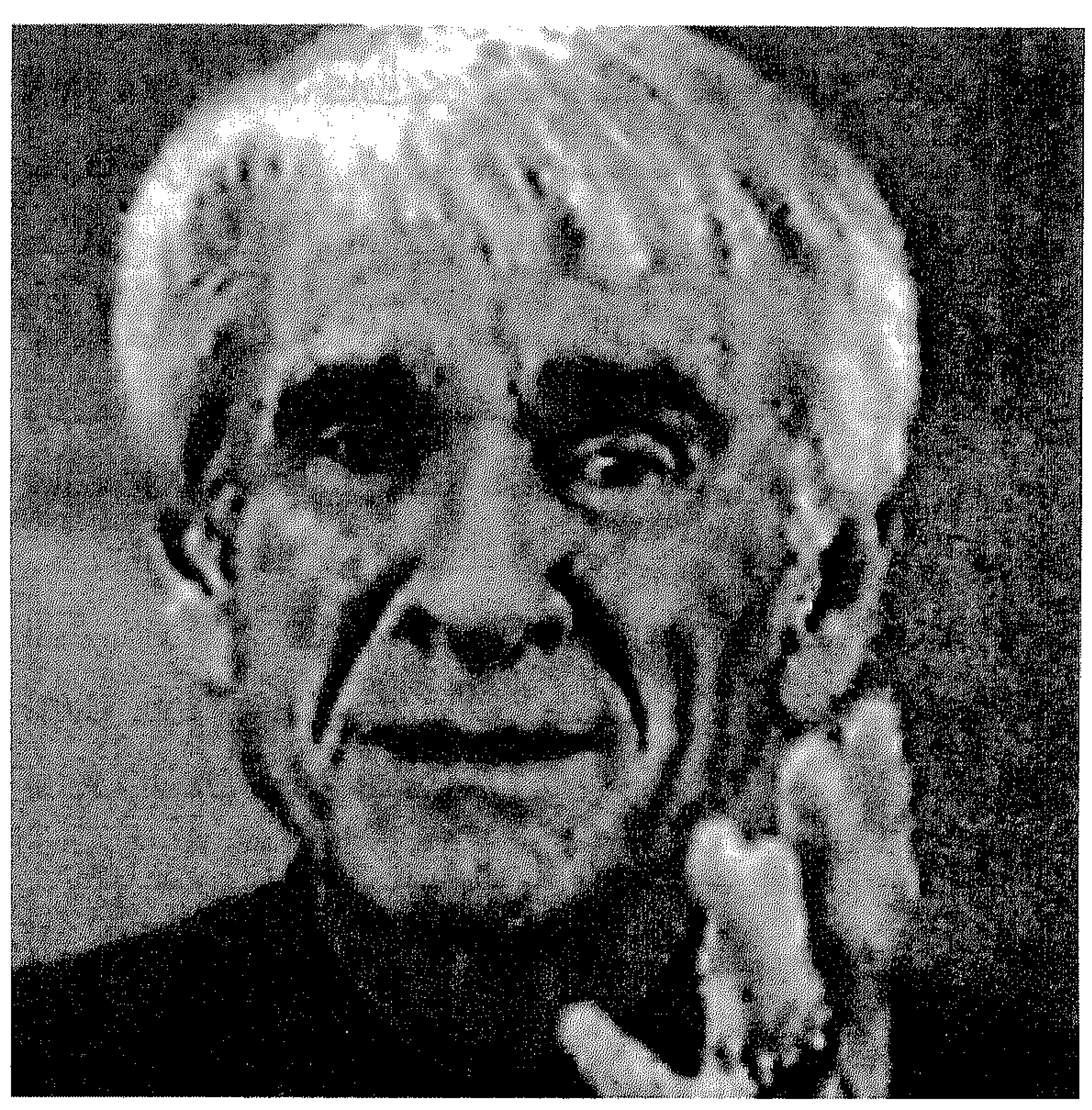
انتحـــار جمـــاعى فى ولايــة كاليفورنيا

فى السابع والعشرين من مارس ١٩٩٧، تم العثور على جثث ٣٩ رجلاً وامرأة.. كانت كل جثة مسجاة على فراش خاص، كلها حليقة الرأس، وفى زى ووضع موحد.. كان ذلك أحدث انتحار جماعى لجماعة أو طائفة «بوابة السماء»!

قائد هذه المجموعة، وزعيمها، الذى كان من بين المنتحرين، ولد عام ١٩٣١ بولاية تكساس، وكاد أن يعمل فى سلك الكهنوت كأبيه، لكنه اختار فى آخر لحظة أن يدرس الموسيقى.. ثم عمل بعد ذلك فى فريق الغناء الأوبرالى بالإضافة إلى تدريس الموسيقى.. ويقال إن نقطة التحول الأولى فى حياته، كانت إقامة علاقة جنسية شاذة مع أحد تلاميذه، أثرت فضيحتها على حياته العملية والعائلية.

ضاعف هذا من حالته العقلية المتأزمة أصلاً، مما قاد إلى دخوله إحدى المصحات العلاجية فى هيوستين، حيث التقى بنقطة التحول الثانية عام ١٩٧٢، فى صورة الممرضة نيتيلز، التى يعرف عنها اهتمامها بدراسات ما وراء الطبيعة، وعضويتها للجماعة الثيوصوفية المحلية، فتوافقت شطحاتها العقلية مع شطحاته، وقادته نيتيلز إلى عالم دراسات ما وراء الطبيعة..

تزوج أبلوايت ـ وهذا هو اسمه الأصلى ـ من الممرضة، زواج التقاء عقائد وليس زواج معاشرة، فقد كان كل من الزوجين يؤمن بأن الجسد هو العدو الحقيقى لكل باحث عن السمو والارتقاء.. ولتأكيد هذا الموقف، قام أبلوايت بإخصاء نفسه!



بو، أو أبلوايت.. قائد طائفة (بوابة السماء)، بأفكاره العجيبة عن الرحلة المكوكية بين العوالم، وعن المستويات فوق البشرية، وعن سفن الفضاء التى تحمل الجميع إليها!

ترك الزوجان هيوستون عام ١٩٧٣، وارتحلا لعدة أشهر، حتى انتهى بهما الأمر عند أرض معسكرات قرب الشاطئ فى جنوب (أوريجون). هنا، وفى ذلك المكان، أعلن أبلوايت عن الرؤية التى تبدت له، والتى تنسجم مع أفكارهما الميتافيزيقية.. أعلن أنه ونيتيلن، هما النبيان المذكوران فى الفصل الحادى عشر من سفر الرؤيا بالإنجيل.. وأنه بعد ١٢٦٠ يومًا من تجلى تلك الرؤية وانكشاف الحقيقة، سيقوم أعداؤهما بقتلهما.. وأن تلك الواقعة، سيتبعها صعودهما إلى الجنة فوق سحابة.. وقد أشار موضحًا أنه يعتقد أن تلك السحابة ستكون على صورة سفينة فضاء!

بذلك النمط الإيمانى الذى جمع بين عناصر المسيحية والثيوصوفية ومجموعة من العقائد الميتافيزيقية الأخرى، بالإضافة إلى عناصر الحكمة الفلكلورية المعاصرة حول الأطباق الطائرة القادمة من الفضاء الخارجى، انطلق داعيًا عصر الفضاء للتبشير بإنجيلهما. لقد اختارا لنفسيهما اسمين غريبين هما «بو» و«بيب»، الأمر الذى قاد النقاد إلى التساؤل حول جدية مهمتهما.

النجاح الأول:

جاء نجاحهما الأول فى لوس أنجلوس، عندما تسلم (بو) و(بيب) دعوة للحديث إلى مجموعة من الطلبة الذين يدرسون علوم ما وراء الطبيعة، وحصلا فى نهاية الرحلة على حوالى ٢٥

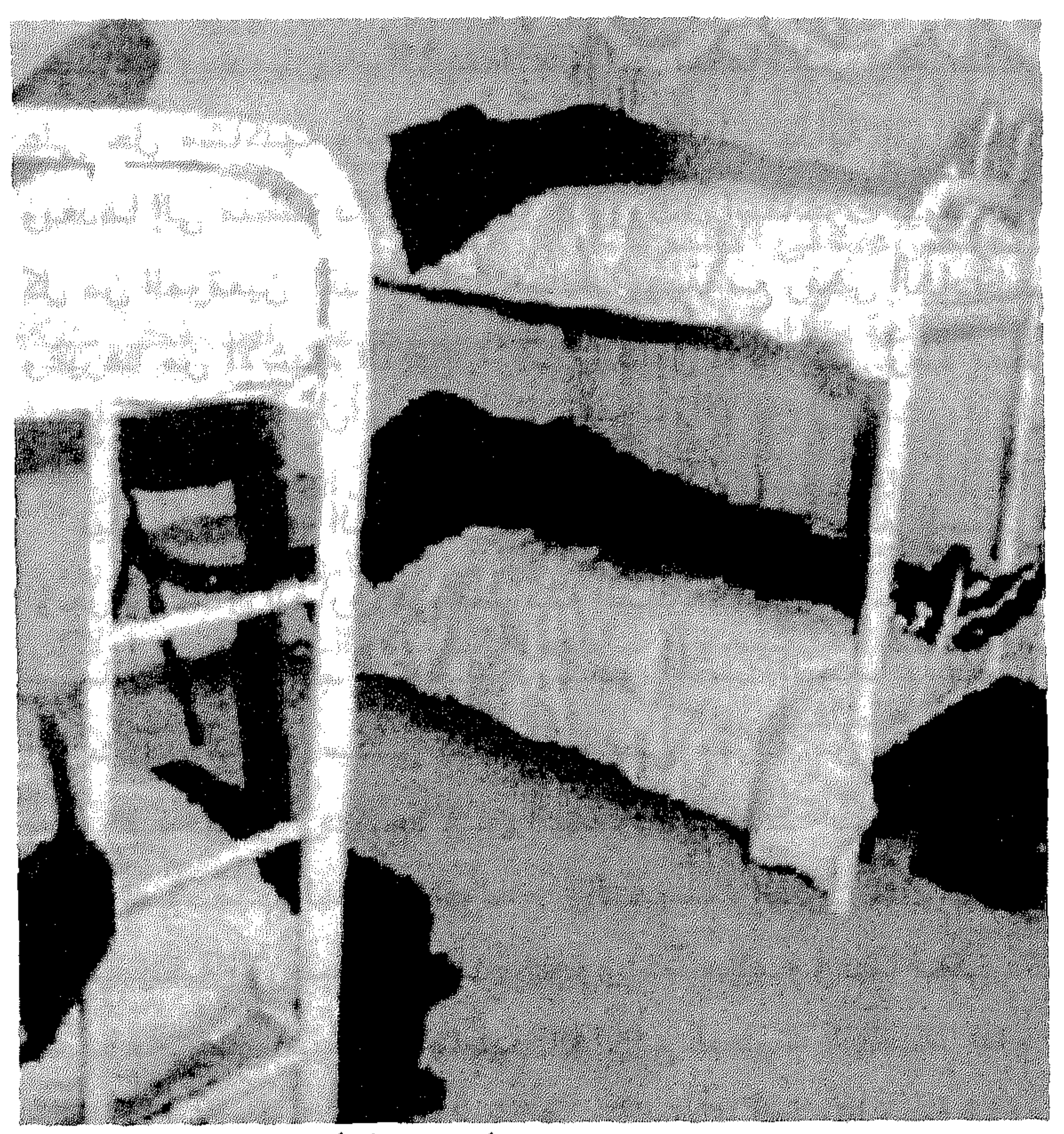
من الأتباع. عادا، ومن خلفهما الأتباع الجدد إلى شاطئ أوريجون. وهناك بدأ تأثير عقيدة الأطباق الطائرة يفرض وجوده على دعوتهما، وسرعان ما انضم إليهما ١٥٠ تابعًا.

بعد ذلك توجهت الجماعة إلى دنفر، حيث انضم إليها المزيد من الأتباع. لكن فجأة، وبلا مقدمات قام بو وبيب بتقسيم الأتباع إلى مجموعات صغيرة، مع تعليمات عامة غامضة عن كيفية مواصلة النشاط، ثم أعلنا أنهما ينسحبان مبتعدين، لكى «يختفيا فى البرية»، لكى يمهدا لمرحلة «إظهار البرهان»، ويعنيان بذلك البعث والصعود إلى السماء، مما سيلى انتحارهما!

خلال الشهور الستة التالية، راحت جماعاتهما الصغيرة تتجول فى أنحاء البلاد، فى انتظار عودة القائدين. غير أنه نتيجة لعدم وضوح تعاليمهما فى عقول الأتباع، انصرف نصفهم عن الجماعة. إلى أن شاعت الرسائل تفيد أن بالإمكان الاتصال بالرائدين عن طريق صندوق بريد فى جالفبورت، بالميسيسيبى.

فى الشهور التالية، استقر ما بين ٩٠ و١٠٠ من الأتباع، وأعادوا تنظيم أنفسهم، ليتبعوا قيادة أكثر تنظيمًا وسيطرة. وبعد أن بذل بو وبيب مزيدًا من الجهد فى اجتذاب وتجنيد الأتباع، قادا من تجمعوا حولهما إلى موقع منعزل فى وايومنج، حيث شرعوا جميعًا فى مرحلة مكثفة من دراسة مبادئ الجماعة.

أعلنا للأتباع «أن السماء كانت قد ألغت عملية إظهار البرهان التى بشرا بها، نتيجة لأن الأتباع لم يكونوا قد استعدوا لها.. فالذين يريدون أن يمتطوا سفينة الفضاء السماوية، يجب أن يبذلوا المزيد من الوقت والجهد فى التدريب المنظم..».



فى ٢٧ مارس ١٩٩٧، تم العثور على جثث ٣٩ رجلاً وامرأة، كلُّ جثّة مسجاة على فراشها، حليقة الرأس، فى زىٍّ ووضع موحد.. حصيلة عملية الانتحار الجماعى الذى شارك فيه زعيم (بوابة السماء)

السفينة الأرضية:

من وايومنج انتقلت الجماعة إلى موقع للمخيمات بالقرب من مدينة سولت ليك، حيث سعى بعض أعضاء الجماعة إلى الارتباط بوظائف وأعمال، لمواجهة النفقات والاحتياجات المالية للجماعة. ويبدو أن ميراثًا هبط على أحد أعضاء الجماعة، ساعد على حل مشاكلها وأزماتها المالية، فانتقلت بداية إلى دنفر، وبعدها إلى منطقة دلاس – فورت وورث، واستأجرت بيوتًا فى كل من الموقعين. لقد كانت الحياة الريفية، مع رفض الماديات وغيرها من الأشياء الدنيوية، هى العامل الأكبر فى رسم نمط حياة الجماعة.

قبل أن تنتقل الجماعة عام ١٩٩٦ إلى المجمع السكنى لرجل الأعمال الغارق فى مشاكله المالية، فى ضواحى رانشو سانتافى بالقرب من سان دييجو، أمضت الجماعة بعض الوقت فى تجمع سكنى بالجبال، على مقربة من ألبوكيرك، بنيو مكسيكو. وبينما كان أعضاء الجماعة منهمكين فى إقامة مجمعهم السكنى الواسع والبسيط، والذى أطلقوا عليه «السفينة الأرضية»، والذى جرى تصميمه وفقًا لعقيدة الجماعة، على هيئة التصميم الداخلى لسفينة الفضاء التى ستحملهم إلى الحياة الجديدة.. فى تلك الأثناء استأجروا قاعة كمكتب، فى الحى السكنى القريب، لممارسة أعمال الكمبيوتر الخاصة بهم.

لقد كان الجمع بين العقائد القديمة والفلسفات التقليدية، وبين الأساطير الشائعة كما هو الحال فى موضوع الأطباق الطائرة القادمة من الفضاء الخارجي، وبين أحدث الأدوات التى صاحبت ثورة المعلومات، وتشكل مجتمع المعلومات، مثل الكمبيوتر والإنترنت.. كان ذلك الخليط العقائدى سمة من سمات الجماعة.

كل شيء على الإنترنت:

جماعة «بوابة السماء» لم تُخفِ شيئًا على أحد. فعلى شبكة الإنترنت كان وما زال بإمكان أى شخص أن يطلع على تفاصيل الأفكار العجيبة التى سيطرت على أفراد تلك الجماعة، وقادت إلى مأساة انتحارهم الجماعى.. خليط من العقائد الدينية واللادينية والأحداث الفلكية، والأساطير القديمة والحديثة، وصولاً إلى الأطباق الطائرة!

الموقع الخاص بالجماعة على الإنترنت، يتصدره رسم أنيق ملون، يحمل اسم الدعوة «بوابة السماء»، وقد ظهرت الصفحة الرئيسية للموقع، والصفحات الفرعية، قبل عام ١٩٧٧.. الخبر الذى تزفه الجماعة إلى جماهيرها، هو اقتراب المذنب (هال - بوب)، باعتباره من «العلامات» التى كانت الجماعة تترقبها، وإشارة إلى أن سفينة الفضاء القادمة من «المستوى غير البشرى» فى طريقها لتأخذ أفراد الجماعة إلى «عالمهم».

فـى هـذا تقـول الـجـمـاعـة «سـنوات دراسـتـنـا هـنـا عـلـى كـوكب الأرض، البالغ عددها ٢٢ سنة، قد وصلت أخيرًا إلى غايتها.. (التخرج) فى مستوى التطور البشرى. إذا ما أتيح لك أن تدرس المواد التى على صفحتنا فى الشبكة، نأمل أن تفهم فرحتنا، وغرض وجودنا على الأرض.. بل ربما تجد (جواز سفرك)، الذى يتيح لك أن تغادر معنا..».

الرحلة المكوكية بين العوالم:

على إحدى الصفحات، يشرح قائد الجماعة وعقلها المفكر تاريخ الجماعة من البداية إلى النهاية. فيبدأ ذلك السرد بقوله:

«فى بداية السبعينيات، تجسد شخصان، أنا ورفيق مهمتى، قادمان من مستوى التطور فوق البشرى، فى هيئة جسدين بشريين، فى الأربعين من عمريهما.. وقد دخلت أنا جسم الذكر، أما رفيق مهمتى - الذى كانت له الأقدمية عنِّى فى المستوى فوق البشرى - فدخل فى جسد امرأة..».. ويستطرد شارحًا أنهم يعتبرون هذه الأجساد البشرية، مجرد «مركبات» يدخلون فيها لتأدية الواجب بين البشر.. وتلك الأجساد كانت مجهزة، ومتروكة جانبا منذ ولادتها، لتكون فى خدمتهم.

ويواصل مهندس المأساة شرح رحلته المكوكية بين العوالم، فيقول:

«لقد اصطحبنا معنا إلى الأرض، طاقمًا من التلامذة، ممن عملنا معهم على الأرض فى مهام سابقة، وكانوا على درجات

متباينة من حيث مستويات تطورهم: من عضوية المملكة البشرية، إلى عضوية مستوى التطور فوق البشرى».. ويستطرد قائلاً: «ويبدو أننا وصلنا مجال الأرض، بين أربعينيات وتسعينيات القرن (يقصد القرن العشرين)، بتوقيت الأرض..». وهو يرجح أن العديد منهم وصل مجال الأرض بواسطة مركبة فضائية، يقصد طبقًا طائرًا، تحطم عند ارتطامه بالأرض.. وأن السلطات البشرية، ممثلة فى الحكومات والجيوش، عثرت على أجسامهم المؤقتة الخنثى (أى لا ذكر ولا أنثى).

ثم يمضى فى وصف التفاصيل الدقيقة للرحلة إلى الأرض، فيقول: «ونحن نشعر أنه عندما كنا خارج هذه الأجساد، فيما بين الوصول والتجسد، جرى إمدادنا بمعلومات مكثفة، وجرى أخذنا فى رحلة ممتدة لأماكن وأحداث، يمكن أن تساعد كل واحد منا فى عملية تجسده، وإدخاله بعقله وإدراكه إلى مركبة الجسد، بعد التخلص من عقول الأجساد التى دخلنا فيها، والتى سيستخدمها كل واحد منا على الأرض..».

عدم احترام العالم ونظمه!

هذه الأفكار والتعبيرات قد تثير سخريتنا وتهكمنا، لكن الذى لا شك فيه هو أن مهندس، أو مهندسى، هذه العقيدة الكارثة، كانوا على درجة عالية من الذكاء، والقدرة على حبك الوقائع، والمهارة فى اختيار الضحايا، وإقناعهم بالمنطق الذى يطرحونه، مما يدفعهم إلى قبول عملية الانتحار، والتحمس لها.

وهو يتكلم طويلاً، شارحًا آليات وخطط العالم فوق البشرى فى الحضارات التى تتتابع على سطح الأرض، وكيف يتم زرع مخازن (الأرواح) على الأرض، والتى يطلقون عليها (هبة الحياة)، باعتبارها جواز السفر إلى مستوى ما فوق البشر.

عن هذا يقول قائد الجماعة: «فى ذلك الوقت يمكن التعرف على الآدميين الحائزين على مخازن الأرواح، باعتبارهم أولئك الذين يفقدون ـ بشكل سريع ـ احترامهم للعالم ونظامه.. رغم أن المؤسسات الدنيوية تنظر إلى هؤلاء باعتبارهم غير مسئولين، وغير اجتماعيين، وينظر إليهم العالم كأغبياء وحمقى، وأعضاء فى جماعات ذات عقائد انعزالية غريبة..إلى آخر ذلك..».

ويمضى بعد ذلك إلى القول بأن الروح أيضًا هى مجرد غلاف للإنسان الجديد، ويكون لها عقلها الخاص، الذى يقتصر عمله على تجميع المعلومات الخاصة بالمستوى الأعلى القادم.

الخطوة الأخيرة الخطيرة!

فى النهاية نصل إلى الخطوة الأخيرة القاتلة..

فى هذا يقول: «المرحلة الأخيرة فى عملية التحول، أو الانسلاخ، أو الانفصال عن المملكة البشرية، تتم بقطع العلاقة مع الوعاء المادى للإنسان (الجسد)، للتحرر من البيئة البشرية، ودخول العالم (التالى)، أو البيئة المادية للمستوى الأعلى. وسيتم هذا تحت إشراف أعضاء من المستوى التالى، ومن خلال إجراءات سريرية. وسيتم اللقاء فى (السحب)، وهى سفينة الفضاء

الأم العملاقة، حيث يتم إعلامنا بما ينبغى أن نعرفه، خلال رحلتنا إلى مملكة السماوات الحقيقية».

وعن عملية الإخصاء التى تجرى على أفراد الجماعة، يقول هذا المانيفستو الشيطانى الذكى: «إن المتطلبات تكون واحدة بالنسبة للذين يتوقعون أن يمضوا فى طريق المستوى فوق البشرى: على كل منهم أن يعمل على نبذ كل ما ينتسب إلى البشر من طرق، مثل الروابط والأفكار، والإغراءات التى يدمنونها، والسلوك الجنسى.. عليهم أن يتحركوا من أجل أن يصبحوا مخلوقات جديدة». وهو يشير إلى عملية الإخصاء بطريقة لبقة قائلاً: «بعض الدارسين اختاروا بمحض إرادتهم أن يتم تحييد مركباتهم الجسدية، من أجل دعم إدراك أكثر موضوعية، وأكثر بعدًا عن الجنس..»».

عملاء إبليس على الأرض:

وفى محاولة للهجوم على من ينسلخون عن دعوته، بعد انتظامهم فيها، يقول: «يصبح هؤلاء عناصر لمعارضة المستوى الأعلى، ويتحول زعيمهم إلى إبليس (أى كبير شياطين). مثل هؤلاء القادة ما زالوا حتى اليوم يحتلون أماكن فى السماوات القريبة، وهم الذين يشير إليهم البشر بتعبير كائنات الفضاء أو الكواكب الأخرى، وهم يختبئون أيضًا فى قواعد لهم تحت الأرض، ويساهمون فى العبث بجينات البشر، كما يتزاوجون منهم.. هؤلاء الأباليس هم الذين نادوا من عوالمهم غير المرئية غالبًا بجميع الأديان.. متنكرين أمام البشر فى صورة (الآلهة)..مقدمين كل ما يرغب فيه البشر الذين يعبدونهم من مكاسب ومزايا مادية..»».

[لا أدرى، لماذا أشعر أن مثل هذه التركيبات المختلة، تشبه كثيرًا ما يجود به علينا بوش من أفكار وتحليلات سياسية، وحديث عن محاور الشر فى العالم، بين الحين والآخر؟!].

ثم يتهم أبلوايت، قائد الجماعة، هؤلاء الأباليس وأتباعهم من البشر، بالترويج لفكرة «الجنة على الأرض»، و«السلام على الأرض»، ويوقفون سعى الناس إلى مستوى ما فوق البشر، بالدعوة إلى حياة صحية فى ظل الأوضاع البشرية. كما يقول إن هؤلاء الأباليس يستمدون قوتهم من البشر الذين يمسكون بأيديهم مفاتيح القوة على الأرض: قادة الحكومات، وكبار الأغنياء، والقيادات الأخلاقية التى تستمد قوتها من الأديان المصنوعة وفقًا للطلب والحاجة.. وهم معًا، من خلال «النادى» العالمى الذى يضمهم، يفرضون احتكارهم على البشر.

لكن فجأة يتخلى أبلوايت عن تخيلاته وشطحاته، فنراه يعكس وعيًا قد لا يتحلى به بعض الساسة فى العالم، فيقول البيان: «هؤلاء الأقوياء، يحددون معًا ما هو (الصواب)، وما هو (الخطأ)، لجميع البشر. وغنى عن البيان أن رؤاهم تجعل الأثرياء أكثر ثراء، والساسة أكثر نفوذًا، وتوفر فى الوقت نفسه ما يلزم من (ضمير أخلاقى)، للوصول إلى مجتمع لا يشعر بالذنب. وأولئك الذين يفرضون قوانين الحكومات، يحرصون على عدم السماح لأى شىء أن يؤثر على الأخلاقيات التى يفرضونها، والتى هى فى واقع الأمر ليست أخلاقيات بالمرة..».

ويـواصـل أبـلـوايت رسـمـه لصـورة هـؤلاء الأقـويـاء الـذيـن يتحكمون فى أمور شعوب العالم، فيقول إنهم ينظرون إلى أى مـجموعـة صـغيـرة لا تستسلم بسذاجة لقوانينـهـم الاجتماعية، أو لا تنظر إلى الحياة من خلال (آليات التحكم) التى يفرضونها، أو تسعـى إلـى إثـارة الـتسـاؤلات حـول سـلامـة تـلك الآلـيـات وشرعيتها.. أى مجموعة صغيرة كهذه ينظرون إليها باعتبارها مجموعة من المخربين المتطرفين، معادية للمجتمع، وخائنة، وربما إرهابية!

مقايضة مخلوقات الفضاء!

ومن أغرب ما ورد فى ذلك البيان التاريخى! قوله: «مخلوقات الفضاء، بجماعاتها وأجناسها المختلفة، ترجع صلتها بالبشر - وخـاصـة فـى الـعـقـود الأخـيـرة - إلـى عدة أسبـاب.. تـتـراوح بـيـن صفقات للمنفعة المتبادلة، مثل مقايضة تكنولوجياتهم فى مجال سفن الفضاء، مقابل عدم التدخل فى تجاربهم الوراثية على البشر.. وبين ما يعرضونه من رحلات (التنوير الروحى). ويقول البيان إن كل هذا النشاط يتم فيما هو دون السعى إلى «المستوى التالى» بكثير، وإن جهود مخلوقات الفضاء المكثفة الحالية، تتم الآن فى الوقت الذى تتقدم فيه قوى «بوابة السماء» إلى الأرض.

ويضيف البيان، أن مخلوقات الفضاء هذه قد نجحت فى التشويش على مفهوم (الإله) عند البشر، من خلال أديانهم التى فرضوها. وأن هذه الأديان كانت تبدأ كعملية تخريب

أساسية فى أعقاب كل زيارة من جانب «المستوى التالى» إلى الأرض.. و«المستوى الثانى» يكره الأديان؛ لأنها تربط البشر بالمملكة البشرية، مستخدمة معلومات مضللة قوية، مختلطة بمدارك كونية عن (الخلق)، وهو ما لا تعرف عنه شيئًا فى حقيقة الأمر.

يقول «البيان»: «ونظرًا لأننا نقف عند نهاية عصر، فإن معركة (السماوات) مع خدمها على الأرض، ستكون وسيلة إنهاء هذه الحضارة، بما فيها من بشر.. والآن، تقوم (الحشائش) باجتثاث الحشائش والتخلص منها، من خلال حروب العصابات، وعمليات التطهير العرقى التى تقوم بها الدول. وهذا هو ببساطة جانب من عملية التدوير الطبيعية التى تسبق إعادة ترميم الكوكب، تمهيدًا لبدء حضارة جديدة..».

الامتحان.. حتى الموت!

فى نهاية البيان الغريب، يقول «دو»، وهو أحد الأسماء التى اختارها صاحب الدعوة لنفسه، موجهًا حديثه إلى جماهير شبكة الإنترنت: «إذا وصلتك هذه المعلومات، وحاولت الاتصال بنا، بمحض إرادتك، معتزمًا ترك إنسانيتك خلفك، لترتبط (بالمستوى التطورى لما فوق الإنسانية).. إذا تم ذلك، فأنت قد تواجه ما يبدو كاختبارات من الصعب تخطيها. فى إمكانك أن تتصور عملية (التنحى)، واحتمال أن تفقد الجسد الذى (ترتديه) خلال استعراضك لإيمانك.. ونحن بإمكاننا أن نأخذ بيدك خلال جميع المحاولات، التى صممت لتوفر لك القوة والعزيمة».

إلى أن يقول: «إذا كنت تتوقع أن تمضى معنا فى سفينة الفضاء الخاصة بنا، والمتجهة إلى عالمنا، مملكة مستوى ما فوق البشرية الوحيدة والحقة، فالأرجح أن تتهيأ جسديًا لهذه المغادرة..».

هذا جميعه مجرد جانب صغير من أوراق هذه الدعوة المأساوية. وجماعة «بوابة السماء» ليست ظاهرة وحيدة أو نادرة، لكنها واحدة من الحالات العديدة متباينة الأهداف والأغراض، التى تعرفها البشرية على امتداد تاريخها. ويعتقد الخبراء فى مثل هذه العقائد والجماعات الخاصة أن تناميها وانتشارها يرجع إلى الإحساس بالإحباط وعدم رضا أفرادها بالحياة المعاصرة. وفى هذا يقول جوسيه لاساجا، أستاذ علم النفس فى جامعة ميامى، بالولايات المتحدة، عند حديثه عن الجماعات التى عرفت باسم «جماعة هيكل الشعب»: إن انجذاب الناس إليها «يرجع إلى عدم رضاهم الشديد بنمط الحياة الأمريكية؛ إما بسبب الإحباطات الشخصية والعائلية، كما فى حالة التمييز العنصرى، أو بسبب المثالية السياسية، من أناس يتشوقون إلى تنظيم اجتماعى أكثر عدلاً..».

وظيفة الجماعة وقيادتها:

يحدث هذا، فى الوقت الذى تَعِدُ فيه هذه الجماعات والعقائد أتباعها بحياة أفضل، وأقل معاناة وتوترًا. فى معظم الحالات تعمل العقائد كوحدة مساندة، على شكل عائلة كبيرة ممتدة،

تخفف عن أتباعها بعض ضغوط العالم الخارجي. وفي الأغلب، ترأس كل جماعة شخصية قوية ذات صفات قيادية عالية، تقود الجماعة وتوجهها، وترسم سياستها، وترسي قواعد سلوكها. وقائد الجماعة، غالبًا ما يوفر لأعضائها (صورة الأب)، متخذًا القرارات المهمة، مما يعفيهم من الحيرة وعدم اليقين.

معظم هذه الجماعات تكون محدودة العدد، وقصيرة العمر. والقليل منها، كما في حالة عصابة تشارلز مانسون - التي سنأتي على قصتها فيما يلي - تكون صغيرة العدد، لكنها تحظى بذيوع كبير نتيجة للعنف الذي تمارسه مع ضحاياها.

أعضاء كل جماعة يعيشون عادة معًا. وحتى في حالة العقائد ذات العدد الكبير من الأتباع، والذين لا يتاح لهم العيش معًا، غالبًا ما ينظمون أنفسهم في بؤر متعددة، مع بقاء الاتصال الوثيق فيما بينها. أعضاء الجماعة يتبرعون بالمال أو العمل لجماعتهم، وفي كثير من الأحيان يتنازلون عن جميع ممتلكاتهم لها. وفي المقابل، تقوم الجماعة بتدبير احتياجات الأفراد اليومية.

افتقاد المدينة الفاضلة

ولكن، كيف تجتذب الجماعات، من أمثال «بوابة السماء» أتباعها؟

بصفة عامة، يكون عنصر الجذب الأساسي للجماعة، ما تعِدُ به من حياة أفضل. وبالنسبة للعديد من هذه الجماعات، لا تكون

هناك حاجة إلى بذل جهد فى تجنيد الأتباع، عندما تكون رسالة الجماعة على درجة عالية من الجاذبية، بما يستقطب تدفقًا من الراغبين فى الانضمام.

وولاية كاليفورنيا، التى ظهرت فيها جماعة «بوابة السماء»، كانت دائمًا الأرض الخصبة لتفريخ مثل هذه الجماعات. ومن أكبر أسباب ذلك أن أبناء الولاية يضمون نسبة عالية من الذين يفرون من الولايات الأخرى.

دكتور لويس ويست، رئيس قسم التحليل النفسى فى جامعة كاليفورنيا، بلوس أنجلوس، يصف ذلك الانجذاب بقوله «إنهم يتوقعون أن تكون كاليفورنيا يوتوبيا (أى مدينة فاضلة). لكن البعض يفقدون أحلامهم عندما يصلونها، فيختلطون بأصحاب العقائد الخاصة، الذين يعدونهم بتوفير الروابط التى يسعون إليها. وبالنسبة للعديد من هؤلاء تكون هذه العقائد أقرب إلى مدنهم الفاضلة..».

ويضيف، أنه فى عالم اليوم، يميل العديد من البشر إلى أن يستمعوا لمن يقول لهم:

هذا هو السبيل، وأنا أعلم إلى أين أمضى؛ لهذا أدعوكم إلى أن تنضموا إلىَّ..

فيما يلى من حديث، سنطرح تنوعًا من الطوائف والعقائد والجماعات والمذاهب، التى تتباين فى طبيعتها وفى توجهاتها وفلسفتها وأساليبها.

ومن المعروف أن هذه الجماعات يقتصر بعضها على جانب واحد من حياة أتباعها: الجانب الدينى، أو الفلسفى، أو توسع نشاطها ليشمل حياة الأتباع بأكملها. بعض هذه العقائد يكون إيجابيًا، بمعنى أنه يبشر بطرق جديدة لإثبات الذات ودعم الإدراك، والبعض الآخر يكون رجعيًا أو أصوليًا، يبشر بالرجوع إلى السبل القديمة، ومناهج الحياة الأكثر سذاجة.

ومعظم العقائد الحديثة تندرج تحت واحد من الأنماط التالية: الدينية، أو التأهيلية، أو الساعية إلى تعميق الإدراك، أو الأصولية، أو العسكرية. وفى جميع الأحوال، تكون من الظواهر التى تستحق الدراسة.

وفى هذا الكتاب سنقدم تنوعًا من العقائد والجماعات، يغطى معظم هذه التصنيفات، لكن دعونا نطرح فيما يلى مأساة قريبة شهيرة، حدثت أيضًا - كما فى بوابة السماء - فى الولايات المتحدة الأمريكية، وأيضًا فى كاليفورنيا ولوس أنجلوس بالتحديد.. وكانت ضحيتها نجمة سينمائية أمريكية معروفة.

السفاح بطل
جماعـة «العائلة»

بعد ظهر ٩ أغسطس عام ١٩٦٩، نشرت الصحف الأمريكية على صفحاتها الأولى، خبر المذبحة التى تمت فى منزل منعزل على الطراز الريفى، بالقرب من مدينة لوس أنجلوس، عثرت فيه الشرطة على خمسة رجال مقتولين، ومعهم الممثلة السينمائية المعروفة شارون تيت!!

حضر رجال الشرطة بعد أن استنجدت بهم مديرة المنزل وهى فى حالة هستيرية صعبة، فوجدوا الآتى: أولاً جثة شاب يدعى ستيفين بيرانت، أطلق عليه الرصاص وطعن عدة مرات، داخل سيارته أمام المنزل. وفى حديقة البيت الريفى، وجدوا جثتى آبيجيل فولجر وجاى فرايكوفسكى، من أصدقاء شارون تيت. وقد حمل جسداهما العديد من الطعنات مع رصاصتين فى جسد فرايكوفسكى. وفى داخل البيت، وفى حجرة المعيشة بالتحديد، تمدد جسد شارون تيت، ومصفف شعرها جاى سيبرينج، بعد إطلاق الرصاص عليهما، تم طعنهما بالسلاح عدة طعنات.. أفظع ما فى الأمر، أن الممثلة شارون تيت كانت حاملاً فى طفلها الأول، من المخرج السينمائى الشهير رومان بولانسكى.



شارون تيت الممثلة السينمائية المعروفة، زوجة المخرج السينمائى رومان بولانسكى، أطلقت عليها عصابة مانسون النار فى مسكنها الريفى، وكانت حاملاً فى طفلها الأول

أكلوا البطيخ فى مطبخ القتيل!

بعد هذه المذبحة بعدة شهور، وخلال المحاكمة، التى كانت الطولى فى التاريخ الأمريكى، بدأت تظهر معالم القصة الشاذة التى يصعب تصديقها.

قام بتلك الجريمة البشعة ثلاثة أفراد، من جماعة تطلق على نفسها اسم «العائلة»، من أتباع شخص يبلغ من العمر ٣٤ سنة، سبق أن صدرت ضده أحكام قضائية، اسمه: تشارلز مانسون.

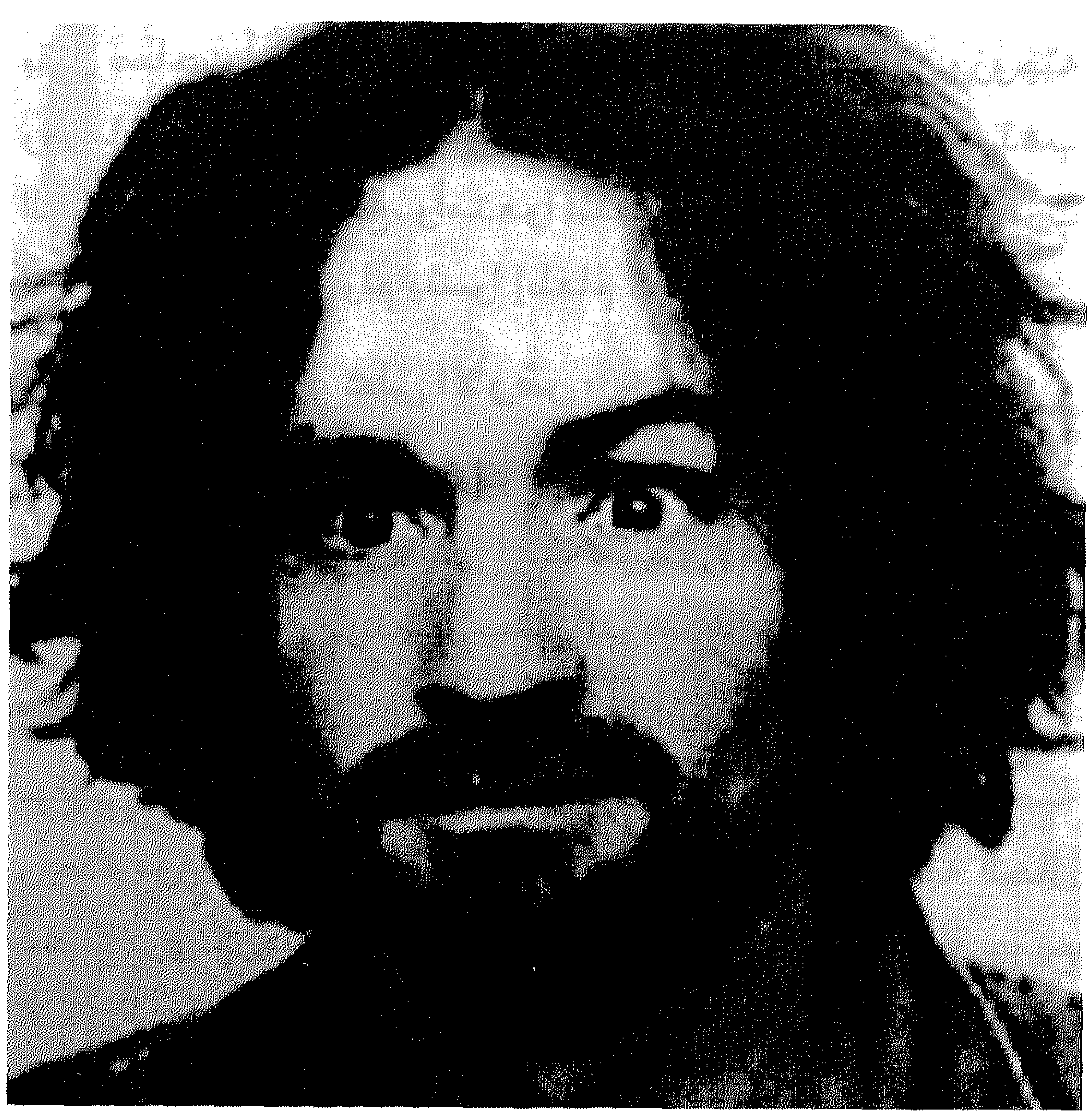
الغريب، أنه فى الليلة التالية لهذه الجريمة، قام اثنان من القتلة، مع عضو آخر من «العائلة»، وبقيادة مانسون شخصيًا، بقتل صاحب أحد محال السوبر ماركت، لينو لابيانكاس وزوجته روزمارى، بعد تلقيهما ٦٧ طعنة.. وعند انتهاء الجريمة، ذهب القتلة إلى المطبخ، وأمتعوا أنفسهم بأكل البطيخ، وشرب الشيكولاتة باللبن، ولم ينسوا إطعام كلاب عائلة لابيانكاس!

الحرب الأخيرة على الأرض:

الثابت، أن القتلة لم يكونوا يعرفون أيًا من الضحايا السبع. أما عن السبب فى القتل الذى أعلنه مانسون فهو «حان الآن وقت (هلتر سكيلتر)»، وهو تعبير يعنى الفوضى الشاملة.

واحدة من القتلة، سوزان آتكنز، قالت فى شرح تعبير هلتر سكيلتر: «إنها كل الحروب التى جرت على الأرض، مرصوصة واحدة فوق الأخرى.. هل يمكنكم إدراك ما سيكون عليه الحال عندما نرى كل إنسان يحاكم نفسه، ثم ينتقل إلى محاكمة جميع الآخرين على سطح الأرض..». أما مانسون فيعتقد أنها ستكون حربًا عرقية بين البيض والسود، ينتصر فيها السود.. ثم يدركون بعد ذلك ـ تدريجيًا ـ أنهم عاجزون عن الحكم، ومن ثم يسلمون مقاليد الحكم إلى مانسون.

ومن المعروف أن مانسون يكره السود، وهناك احتمال أن يكون والده الذى لا يعرف عنه مانسون شيئًا، ممن تجرى فى عروقهم دماء زنجية. لكنه يكره أيضا (مؤسسة) الجنس الأبيض. وهو يشعر بمرارة نحو عالم الفن فى هوليوود، الذى لم يعترف بمواهب مانسون فى مجال أغانى البوب.



تشارلز مانسون، قائد «جماعة العائلة»، وصاحب نظرية زرع الفوضى الشاملة.. أحيانًا يدّعى أنه المسيح الذى عاد، وأحيانًا أخرى يعترف بأنه الشيطان!

ومن الممكن أن نتعرف على ذلك الخلط الذى يسود عقله، عندما نسمع ما يردده فى مجال غناء البوب. لقد حملت إحدى أغنياتهم اسم (هلتر سكيلتر)، ويزعم مانسون أنه سمع البيتلز فى هذه الأغنية يطلبون منه أن يذهب إليهم فى لندن.. وفى أغنية أخرى لهم، اسمها الثورة رقم ٩، سمعهم يهمسون «تشارلى.. تشارلى، أرسل لنا برقية..»!

النساء مجرد مصيدة:

لقد كان اسم الأغنية متماشيًا مع الفقرة المحببة لمانسون فى سفر الرؤيا، بالكتاب المقدس، والتى تقول ما معناه: لا تتحسر على ما يقومون به من جرائم، ولا ما يمارسونه من سحر، ولا على ما يقترفونه من زنا، أو سرقة.. كان يعيد ترديد هذا المرة تلو المرة أمام أفراد «العائلة»، زارعًا فيهم الاعتقاد بسلامة القتل، قائلاً: إن الموت لا معنى له، وأنه مجرد تغيير، لأن الروح لا تموت.

كان يحتقر النساء، وكان غالبًا ما يقول إن الغرض الوحيد لوجودهن هو خدمة الرجال وحمل أطفالهم. لكنه وجد أنه من المفيد ضم بعضهن إلى «العائلة»، كطعم لاصطياد الرجال. وكان على كل واحدة أن تقبل مضاجعة أى رجل بلا تردد، عندما يأمر مانسون بذلك. وكان يتباهى بقدرته الجنسية، لكنه اعترف أنه يفضل الرجال.

وفى معظم الأحيان، كان يطلب أن تغيب النساء عن ناظريه، وأن يقمن بالغناء خارج الكوخ الريفى الذى كانت الجماعة تقيم

فيه. أما اللاتى كان لديهن أطفال، فقد كان يمنع تحدثهن إلى أطفالهن، إلا بلغة غير مفهومة، أو إشارات متفق عليها، حتى لا يرتبط الأطفال بهن. وكان مانسون غالبًا ما يضرب نساء الجماعة، ويهددهن بقطع أثدائهن!

المسيح والشيطان فى آن واحد!

ومع ذلك، فقد كانت نساء الجماعة يحببنه، وإذا شئنا الدقة، يعبدنه. وصفت واحدة من أفراد الجماعة ضرب مانسون لها قائلة: «لم أكن أحب ضربه إياى، لكنى كنت راغبة فى أن أرى الأشياء بطريقة مختلفة.. الطريقة الوحيدة التى كان يعرفها شارلى لكى يصل بى إلى هذا، هى الضرب..».

سوزان آتكنز، إحدى أفراد الجماعة، قالت للمدعى العام فى التحقيق «كان الرجل الوحيد الذى قابلته.. وكان رجلاً كاملاً.. إنه لم يكن يصغى لأقوال أى امرأة. لم يكن يقبل أن تملى عليه امرأة ما يفعله.. إنه الرجل..».

بل اعتقدت تلك المرأة أنه أكثر من مجرد رجل، وأنه يسوع المسيح!. والحق، أن مانسون لم يحدث أن قال ذلك صراحة، لكنه كان يقول: «إنه عاش من قبل منذ ٢٠٠٠ عام، وأنه مات على الصليب. ويديهى أن الإيحاء كان واضحًا بدرجة كافية.. ومع ذلك، فقد كان يشير إلى نفسه فى أوقات أخرى باعتباره الشيطان..».

كان ذلك الخلط فى الهوية، سمة من سمات عقلية جماعة «العائلة». والمسألة تمضى إلى ما هو أبعد من اتخاذ أسماء

مستعارة، لقد كان نوعًا من الغطس الذى تقوم به الشخصية، لكى تتوحد مع عقل الجماعة الجمعى. لقد كانوا جانبًا من شخصية مانسون، وكان هو جانبًا من شخصياتهم. بعد التحقيقات، قالت واحدة من أفراد الجماعة «لقد أصبحت أنا تشارلى.. كل شىء كنته كان تشارلى. لم يعد باقيًا أى شىء منى.. وكل الأفراد الذين كانوا فى العائلة لم يعد باقيًا منهم شىءٌ؛ لأنهم أيضًا كانوا تشارلى..».

تاريخ العقلية المختلة:

الخلط الذى اتسمت به شخصية كل فرد من الجماعة، كان متوافقًا مع خلطهم بين الحب والكراهية. حاولت سوزان آتكنز أن تفسر لشريكة حجرتها فى السجن، كيف استطاعت أن تقدم على قتل شارون تيت «لقد أحببتها، ولكى أقدم على قتلها، كنت أتصور أننى أقتل جانبًا منى عند قتلها.. لا بد أن يكون قلبك عامرًا بالحب الحقيقى حتى تستطيع أن تفعل هذا بالآخرين»!

ويمكننا أن نصل إلى تفسير جزئى لهذه العقلية المختلة بامتحان التواريخ الفردية للأعضاء. مانسون نفسه، أمضى طفولته مستجيبًا لانتقاله بين الأقارب والجيران، فتعلم السرقة، ومر بحالات متعاقبة من إيداعه الإصلاحيات والهرب منها.. عندما بلغ ١٦ سنة من عمره، وصفه باحث اجتماعى كان يتولى حالته باعتباره «غير اجتماعى، بطريقة عدوانية».. وبالمثل كان الأعضاء الآخرون فى الجماعة ذوى علاقات سيئة بأسرهم.

وفى الكتاب الذى كتبه المدعى العام باجوليوزى تحت اسم (جرائم مانسون)، قال: «وكانت لجميعهم تقريبًا نزعات عدوانية متواصلة تجاه المجتمع وكل ما يمثله، حتى قبل التقائهم بمانسون. وكل ما فعله مانسون هو أنه أخرج إلى السطح الكراهية الكامنة فيهم، وميول العنف السادى لديهم، وسعى إلى تركيزها على عدو مشترك، هو (المؤسسة). لقد استطاع أن يُفقد الضحايا شخصياتهم، وأن يحيلهم إلى رموز.. ولا شك أن طعن الرمز يكون أسهل من طعن الشخص..».

«العائلة» لم تنشأ من فراغ:

مانسون، وعائلته، لم يظهروا من فراغ. فالبيئة التى تشكلت فيها «العائلة» كانت تسودها ثقافة تعاطى المخدرات والعقاقير، ويشيع فيها عنف الضائعين، وتنتشر فيها عبادات الشيطان وعقائد التضحية بالدماء، التى ذاعت فى كاليفورنيا، ومهدت الطريق لعقيدة «هلتر سكيلتر».

كان هناك، على سبيل المثال، دعوة كيركى لدم الكلب، التى يعبد أتباعها الإلهة المتناسخة «كيركى»، الذين كانوا يضحون بالحيوانات على شواطئ لوس أنجلوس. وتشير الدلائل إلى أن بعض أعضاء «العائلة» كانوا يشاركون فى تلك الطقوس.

وكانت هناك جماعة «تقويم الهيكل الشرقى»، التى كانت أكثر انتشارًا، والتى تأسست فى ألمانيا عام ١٩٠٢، ووصلت إلى إنجلترا فى ١٩١١، عن طريق كراولى الساحر. لقد كانت السيدة

جورجينا براويتون، زعيمة فرع الجماعة فى جنوب كاليفورنيا تستخدم العقاقير والضغوط النفسية، من أجل إيقاظ قوى الكراهية لدى الأعضاء. وكان من بين أنشطتها، محاولة إرسال ذبذبات الكراهية إلى حى الزنوج فى واتس، على أمل أن يشرعوا فى إضراباتهم.

كانوا يؤمنون ـ مثل مانسون ـ بتهيئة الأوضاع لحرب عرقية، واتخذوا التدابير للهروب منها بالاختفاء فى الصحراء.. ومثلهم مثل أتباع عقيدة كيركى، كانوا يذبحون الحيوانات للتضحية.

الغريب فى الأمر، أن مانسون بعد محاكمته على جرائمه، بدلاً من اكتساب لعنات الناس وكراهيتهم، تحول إلى زعيم روحى للكثيرين!

عقب مقتل الزوجين لابيانكا، ظل مانسون يتلقى الدعم لجماعته، من أسوأ الجماعات، وأخطر أصحاب العقائد السرية. جريدة «طفل الثلاثاء» السرية، الناطقة بلسان الهيبيز، أطلقت على مانسون لقب (رجل العام). كما ظهرت فى المتاجر التى تبيع المخدرات شارات على شكل الأزرار تحمل شعار «مانسون الحر»!

الحسن بن الصباح..
وأسطورة الجنة المصنوعة!

طقوس تمزيق الضحايا الحيوانية، وأكلها، ليست من أفكار الجماعات المعاصرة، فإذا عدنا بالتاريخ إلى عام ١٢٠٠ قبل الميلاد، وربما قبل ذلك، وجدنا أتباع عقيدة «ديونيساس» إله الخصوبة والخمر عند الإغريق.. لقد كانوا ينغمسون فى جنس جماعى مجنون، يقود فى بعض الأحيان إلى تمزيق ضحية حيوانية حية، ثم أكلها.. وعلى خلاف ممارسات عقيدة «ديونيساس»، كانت عقيدة القتل المنظم، بقلب بارد، التى كان يأخذ بها الحشَّاشون، رجال حسن بن الصباح.

تشكلت جماعة «الحشَّاشون» فى القرن الحادى عشر الميلادى، وأشاعت الرعب فى الدول الإسلامية والمسيحية، على حد سواء.. وقد يكون فى كتابات مؤرخى العصور الوسطى مبالغات فى إيراد وقائع جرائم «الحشاشون»، لكن الذى لا ريب فيه أنها كانت من أكثر الجماعات قسوة.

انتسبت جماعة «الحشاشون» إلى الفرق الشيعية غير الملتزمة بحرفية الدين الإسلامى، والتى انسلخت عن التيار الإسلامى العام عقب وفاة الرسول ﷺ. وقد تضمنت تلك الفرق عددًا من الجمعيات السرية. ورغم الإدانة والمقاومة من جانب أهل السنة،

فقد واصلت الشيعة نشاطها، مستمدة قوتها من إيمانها بقيمة المعاناة والتضحية فى سبيل العقيدة. إلا أن العقيدة الشيعية نفسها انقسمت بعد ذلك إلى قسمين.

كان الانقسام نتيجة الاختلاف حول توريث الإمامة، أو قيادة الشيعة. فعندما توفى الإمام السادس للشيعة، خلفه ابنه الأصغر، فى تجاهل للابن الأكبر إسماعيل. ومن هنا أطلق المناصرون لإسماعيل على أنفسهم اسم «الإسماعيلية». وقد تضاعف نفوذ الإسماعيليين بعد ذلك من خلال العمل السرى على اتساع الدولة الإسلامية، إلى حد الإطاحة بالخليفة السنى فى بغداد. وكادوا يصلون إلى بغيتهم، بالاستيلاء على الخلافة.. غير أن الأتراك، الذين كانوا من أهل السنة، نجحوا فى السيطرة على جانب كبير من الدولة الإسلامية.

الانطلاق من عش النسر:

أصبحت بلاد فارس واقعة تحت الحكم التركى.. وفى فارس، ولد الطفل الذى سيصبح زعيم جماعة «الحشاشون»، الحسن بن الصباح. انضم فى شبابه إلى المذهب الإسماعيلى. وفى عام ١٠٦٧، قام برحلته الطويلة إلى مصر، حيث أمضى بالقاهرة ثلاث سنوات فى بلاط الخليفة. ثم عاد إلى فارس، لينشر العقيدة الإسماعيلية، بالوسائل العسكرية!

فى فارس، اكتسب الحسن بن الصباح عددًا لا بأس به من الأتباع، معتمدًا جزئيًا على كراهية الفرس للأتراك، ومتعهدًا

بطردهم من فارس. واستطاع الحسن أن يستولى على قلعة «آلاموت»، أو عش النسر، التى تجثم فوق الجبال، وتسيطر على الوادى الممتد تحتها.

من هذه القلعة، مستفيدًا من حمايتها، بدأ الحسن حملاته فى نشاط التبشير والتدمير، وأوفد قتلته المستعدين للتضحية بحياتهم، فى أى وقت.

ولكن، من أين أتى اسم «الحشاشون» هذا؟

الاسم مستمد من الحشيش، ومستخدمى الحشيش. ويتساءل المؤرخون، عما إذا كان الولاء المطلق من جانب الذين كان الحسن يوفدهم للقتل، يعود إلى تخديرهم بالحشيش.. كما أن أحد الكتاب قد رجح أن القتلة استمدوا اسمهم من مجرد التشابه بين أفعالهم، وفقدان العقل الذى يظهر على المخدَّرين.

أسطورة الجنة المصنوعة:

من بين الأساطير التى لحقت بحركة «الحشاشون»، أسطورة أن الأتباع من الشباب المدرب على استخدام السلاح، كان يتم تخديرهم، ثم نقلهم إلى حديقة جميلة قريبة من القلعة التى يتدربون فيها.

عندما يستعيد الشباب وعيهم، يجدون أنفسهم وسط الأزهار الجميلة، وأشجار الفاكهة النادرة، والنافورات التى تدفع الماء إلى أعلى، والأروقة المزينة بماء الذهب.. ومجموعة من الفتيات

الجميلات المدربات على فنون الحب والموسيقى والرقص، المتفرغات لتلبية طلبات ورغبات الشباب المشدوهين بما هم فيه.

وبعد عدة أيام من العيش فى تلك الجنة المصنوعة، يتم تخدير الشباب مرة ثانية، ويعاد بهم إلى بلاط الحسن بن الصباح، الذى كان ـ على عكس كل ما شاهدوه فى حديقة الملذات ـ يتسم بالتقشف والتطهر إلى أبعد حد.. هناك يتم إبلاغهم بأن ما كانوا فيه هو مجرد مذاق مسبق للجنة، التى سيدخلونها فور فقدانهم لحياتهم أثناء تنفيذهم للمهام التى يوفدهم إليها زعيمهم الحسن ابن الصباح.

سواء أكانت حكاية الجنة المصنوعة هذه حقيقية أم لا، فالثابت أن الأتباع كانوا يؤمنون بقوة العقيدة الإسماعيلية، بحيث لا يرقى خير أو شر إلى مستوى فضيلة إطاعة الإمام، الذى كان الحسن يمثله.

الإشارة القاتلة:

يسجل أحد الذين زاروا قلعة «آلاموت» فى مذكراته، واقعة تتطابق مع ما أورده العديد من المؤرخين الأوروبيين.

كان الزائر يناقش الحسن بن الصباح فى مسألة الطاعة العمياء من جانب الأتباع، التى يتناقلها الرواة. فى ذلك الوقت كانا يقفان عند أحد استحكامات القلعة، فأشار الحسن إلى حارس يقف أعلى أحد أبراج القلعة قائلاً للزائر: «هل ترى هذا

النصير المتحمس الذى يحرس أعلى البرج؟..»، ثم قال الحسن «انظر..»، ثم أعطى إشارة للرجل من يده.. وعلى الفور، قام الرجل برفع ذراعيه إلى أعلى، كنوع من التحية لزعيمه، ثم ألقى بنفسه من ارتفاع يصل إلى ٧٠٠ متر تقريبًا، ليلقى حتفه!

غير أن معظم أوامر التضحية بالنفس التى يصدرها الحسن لا تكون عفوية، بل تدخل فى استراتيجياته.. لم تكن لديه القوات الكافية لشن حرب منظمة على الأتراك، لكنه كان قادرًا على اصطياد قادتهم، ومن يتعاونون معهم من العرب، بشكل فردى.. وكان ذلك مصدر قوته.

كانت ضحيته الأولى «نظام الملك»، وزير السلطان التركى.



رسم من مخطوط قديم، يوضح مشهد اغتيال الوزير التركى نظام الملك، أول ضحايا جماعة الحشاشين

تقول الرواية، إن الحسن ونظام الملك والشاعر عمر الخيام، كانوا زملاء دراسة.. وتقول إنه عندما كانوا فى شبابهم، يسر نظام الملك للحسن وظيفة فى بلاط السلطان. ثم لما شعر بعد ذلك بتزايد قوة صديقه، عمل على إبعاده عن البلاط.. ومن هنا يمكن أن يكون الثأر الشخصى هو الذى كان وراء تصميم الحسن على قتل نظام الملك.

تنكر أحد أتباع الحسن على هيئة أحد المتصوفين، واقترب من الوزير عندما كان يهم بالصعود إلى المحفة، بعد خروجه من خيمته، مدعيًا أنه جاء يطلب معروفًا.. ثم أخرج من ثيابه خنجرًا طعن به نظام الملك فى صدره.. وعلى الفور قام حراس الوزير بقتل التابع، فلم يصل أحد إلى علاقته بالحسن بن الصباح.

رجل الجبال العجوز:

خلال السنوات الثلاثين التالية، استطاعت قوات الحسن المحدودة أن تخترق وترعب وتغتال أعداءه السياسيين أو الدينيين.. أصبح من غير الممكن بالنسبة لأى شخص فى السلطة أن يجازف بالخروج من داره، دون أن يرتدى الدروع تحت ثيابه.. فقد كان رجال الحسن يصطادون ضحاياهم علانية، فى مسجد أو سوق أو طريق عام، وكانوا غالبًا ما يقتلون أنفسهم مباشرة بعد ذلك.

بالرغم من استراتيجية الحسن الماكرة، فهو لم يصل إلى تحقيق حلمه الأكبر.. فبقى الأتراك فى فارس، وسقط الخليفة المصرى فى أيدى المناهضين له.

وقد توفى الحسن بن الصباح، «رجل الجبال العجوز» عن عمر يناهز التسعين.

خلف الحسن فى تنفيذ سياساته اثنان من رجاله.. غير أن الحركة الإسماعيلية فى فارس، عادت عند منتصف القرن الثانى عشر، إلى شكل أكثر تقليدية من الإسلام.

أما الفرقة السورية من جماعة «الحشاشون»، التى كان قد أسسها الحسن، فقد تحولت إلى القتل مقابل المال، فكانت تأخذ بعض الأحيان جانب صلاح الدين الأيوبى، وفى أحيان أخرى جانب القوات الصليبية!!.. وقد كانت متمترسة فى قلعة «مصياف» بالقرب من حماة، وأكسبتها فظائعها وقسوتها سمعة واسعة، عاشت فى التاريخ الأوروبى لعدد من القرون.

السفاحون..
أتباع إلهة الموت «كالى»

رغم عنف جماعة «الحشاشون»، فإن دوافعها السياسية كانت مفهومة. وإذا كنا ننفر من أساليب التسلط التى مارسها الحسن بن الصباح على أتباعه، وما تضمنته ممارساته من عنف ودموية بالنسبة للأعداء والأتباع فى آن واحد، فإن الانتقال إلى جماعة «السفاحين» الهندية يصل بنا إلى جماعة أكثر غموضًا وشرًّا.

كانت جماعة سرية تقتل بدون سبب إلا التزلف والتقرب من الإلهة الهندية «كالى»، إلهة الموت، التى ينسب إليها أنها قد أوكلت إلى أتباع جماعة «السفاحين» قتل الشياطين التى تهدد الأرض.. وبمنطق يصعب قبوله، تحول الشيطان فى عقولهم إلى المسافر، وخاصة فى رحلة الحج!

ففى كل عام، وعند موسم الحج، كان يتم قتل آلاف الحجاج، الذين يقومون برحلتهم عبر طرق الهند.. وفى أغلب الأحيان، لم يكن أهل الحاج يحاولون البحث فى سر اختفائه.. ففى بلد تشيع فيه الكوليرا، وثعابين الكوبرا، والعصابات العادية، بالإضافة إلى عصابة السفاحين، لم يكن أحد يفاجأ إذا اختفى المسافر.

ظهرت هذه الجماعة الدموية فى العصور الوسطى، ورغم أنها قد نذرت نفسها لإلهة هندية، فقد كانت تتكون أساسًا من المسلمين، ويعتقد بعض المؤرخين بوجود علاقة بينها وبين «الحشاشون».. غير أن ما اتصفت به هذه الجماعة من لؤم فى ممارسة أعمالها يتناقض بشدة مع المنهج الواضح والانتحارى لجماعة الصباح.

الخنق أداتهم المفضلة:

كانت تطلق تسمية «فانسيجار» على كل فرد من أفراد هذه الجماعة، وهى كلمة هندية تعنى الخنَّاق؛ لأنهم كانوا يخنقون ضحاياهم. وسلاح الجريمة عندهم كان «رومال» وتعنى وشاحًا أو كوفية، كان يلفها الواحد منهم حول وسطه.

كانوا يحرصون بشدة على تطبيق سيناريو جريمتهم بحرص وكفاءة.. يرقد أفراد العصابة على امتداد طريق الحجاج، ويسعى اثنان أو ثلاثة منهم إلى التعرف على أحد الحجاج ـ الذى عادة ما يختارونه من الأغنياء ـ فيصاحبونه فى رحلته. وكانوا يحرصون فى الوقت نفسه على ترك علامات على الطريق، يستطيع باقى أفراد العصابة التعرف عليها، ويفهمون منها أن طليعتهم قد وقعت على الصيد.. ثم ينضم باقى أفراد العصابة إلى تلك الطليعة، بالتدريج.

ووفق إشارة متفق عليها، يلف أحدهم وشاحه حول رقبة الحاج، ويتم إحكام التضييق بمساعدة آخر.. وفى الوقت نفسه

يقوم ثالث بإمساك قدمى الضحية، ويجذبهما إلى الخلف، بحيث يستلقى الحاج ووجهه إلى الأرض، مما يجعل مقاومته ضعيفة.



غلاف كتاب مهم عن جماعة الخناقين، تظهر فيه مجموعة منهم تنقض على أحد الحجاج الأثرياء

مراسم استرضاء كالى:

فى بعض الأحيان ينضم السفاحون إلى جماعة من الحجاج، ثم يقتلونهم جميعًا. بعد القتل يبدأ تقطيع أوصال القتيل، وتشويه وجهه، من ناحية لكى لا يسهل التعرف عليه، ومن ناحية أخرى استرضاء لإلهة الموت الدموية (كالى).. وعادة ما يتخصص أحد أفراد العصابة فى القيام بطقوس المجزرة! بعد ذلك يحفرون قبرًا لما بقى من القتيل، مستخدمين معاولهم، التى يعتبرونها من الرموز المقدسة لعقيدتهم. وفى بعض الأحيان، تعسكر العصابة فوق القبر، وتقيم احتفالاً خاصًا، حتى تخفى آثار الحفر الحديث.

بعد القتل تمارس العصابة طقوس العيد «تابونى»، التى تضفى على ممارستهم طابع المهمة المقدسة.. فينصبون خيمة، ويبسطون قماشًا على الأرض، يجلس عليه زعيم العصابة، محاطًا بأكثر الخنّاقين خبرة، أما باقى أفراد العصابة ـ من ذوى الرتبة الأقل ـ فيجلسون خارج الحلقة.

يوضع المعول المقدس أمام الزعيم، فوق القماش، وإلى جواره توضع قطعة من الفضة، كقربان رمزى للإلهة كالى، بالإضافة إلى بعض السكر الخام (جور)، الذى يعتبرونه طعامًا مقدسًا.. يحفر الزعيم حفرة صغيرة فى الأرض، ويضع فيها بعض السكر، بينما يردد صلوات كالى، ثم يرش الماء المقدس فوق الحفرة والمعول، وفى تلك الأثناء يردد الأتباع صلاتهم.



«كالى» إلهة الموت الهندية التى كان الخنّاقون يعبدونها

التعاسة فى البعد عن العصابة:

هذا الاحتفال تكون له آثاره العميقة على المشاركين؛ فزعيم إحدى عصابات السفاحين (فرينجهيا)، قال للضابط الإنجليزى

الذى قبض عليه: «جميعنا يشعر بالشفقة أحيانًا، لكن السكر الذى نتناوله فى طقوس تابونى يغير من طبيعتنا.. وهذا السكر يمكن أن يغير طبيعة الحصان الثائر.. دع أى شخص يتذوق ذلك السكر لكى يصبح سفاحًا، حتى لو كان عارفًا بجميع شئون التجارة والحرف، أو يحتكم على أعظم الثروات فى العالم. كانت أسرة أمى ثرية، وأقاربها فى أعلى المناصب، وأنا شخصيًا كانت لى وظيفة عالية.. ومع ذلك، كلما ابتعدت عن العصابة أصبح مبتئسًا، وأجد نفسى مضطرًا للعودة إلى السفاحين. لقد أتاح لى والدى أن أتذوق ذلك السكر القدرى عندما كنت صبيًا، ولو قدر لى أن أعيش آلاف السنين، فلن أكون قادرًا على الانتساب إلى أى حرفة أخرى».

لقد كانت كلمات مثل (القدر) و(قدرى) كلمات أساسية فى عقل السفاحين. كانوا يؤمنون أن قدرهم هو القتل من أجل الإلهة كالى، كما أن ضحاياهم كان مقدرًا لهم أن يموتوا بذلك الشكل. وبعيدًا عن نشاطهم الدموى فى موسم الحج، كان السفاحون يلتزمون بحياة هادئة، يسودها السلام!!

حصانة الحرفيين:

فى الأيام الأولى لنشاط هذه الجماعات، كانت تحكم عملية القتل ضوابط عديدة، وكانوا يعتبرون أن إغفال تلك الضوابط هو سبب الكوارث التى تحيق بهم.

ونظرًا لأن «كالى» كانت امرأة، فإن قتل النساء كان محرمًا عليهم.. وكان محرَّم عليهم أيضًا قتل المصابين بمرض البرص، والعميان، وذوى العاهات، وأى شخص يسوق بقرة أو عنزة أنثى!.. وكان التحريم ينسحب أيضًا على الحرفيين من صناع الذهب والحديد والنحاس!

وبين الحين والآخر، كانت إحدى العصابات تخرق هذا العرف، فينسب إلى ذلك كل ما يصيب العصابة من الكوارث عقابًا لها على جريمتها فى حق العقيدة. وعندما استقر الحكم البريطانى فى الهند، خلال القرن الثامن عشر، كانت وقائع مخالفة العقيدة شائعة. وعندما بدأت الحكومة حملتها لاستئصال جماعات السفاحين، وبدأت تقبض عليهم وتحاكمهم وتعدمهم، آمن العديد من السفاحين بأن مرجع هذا إلى ما ارتكبوه من خرق لمحرماتهم الخاصة، وأنهم هم الذين جلبوا على أنفسهم هذه اللعنة.

واصل البريطانيون حملتهم للقضاء على هذه الجماعات، كما أصدروا عفوًا عن أفراد العصابات الذين يمدون الحكومة بمعلومات ثمينة عن ذلك النشاط. وعند منتصف القرن التاسع عشر، لم تعد جماعات السفاحين تشكل تهديدًا لأحد.

جماعات العنف السياسى والعنف المجرد تشكل جانبًا واحدًا من التنوع الواسع فى العقائد والجماعات التى عرفتها البشرية.. ومنذ عصر الإمبراطورية الرومانية، عرف العالم العديد من الجماعات ذات العقائد الخاصة، غير العادية.. غير أن نشاطها كان ينحصر فى الحب والجنس!

الأب برنس..
وأعيـــاد الحب

فى عهد الإمبراطور هارديان، عندما كان المسيحيون الأوائل يسعون إلى ضبط وتحديد معالم عقيدتهم، جاء كاربوكراتيس، الذى عاش فى مصر، وقدم تنويعًا شعبيًّا للدين الجديد. كان من بين ما قاله إن البشر مضطرون إلى ارتكاب الخطيئة، باعتبار أن الخلاص يستلزم ـ منطقيًّا ـ وجود حالة الخطيئة، التى يتم خلاص الفرد منها!

قال كاربوكراتيس إن الله قد زرع الشهوة فى الروح البشرية ـ بالتحديد ـ من أجل هذا الهدف. وعلى ذلك فالشهوة وما تضفيه على حياة الإنسان من مباهج، هى فى واقع الأمر إجبارية.. والأكثر من هذا ما قاله من أن الله قصد أن تكون كل الممتلكات على المشاع بين البشر، وأن المرأة تدخل ضمن تلك الممتلكات.

من بين العقائد العديدة التى انتشرت فى الإمبراطورية الرومانية، كانت عقيدة كاربوكراتيس من أكثرها قبولاً، واجتذابًا للأتباع. فلا شك أن الممارسات الطيبة التى أتت بها المسيحية، تصبح أكثر إمتاعًا لو كان هناك من الأفكار ما يحمل تصديقًا على النوازع الطبيعية للإنسان، فالكثير من الناس فى روما القديمة ـ وقبل ذلك وبعده ـ كان يمكنهم أن يستمتعوا بالملذات فى

ذاتها، دون محاولة تبريرها بأية قواعد أخلاقية.. لكن الكثيرين من بينهم كان من الممكن أن يتحسن شعورهم إزاء ممارسة الجنس لو أنهم عثروا على مبررات لذلك.. وعقيدة كاربوكراتيس لم تكن الأولى ولا الأخيرة التى توفر مثل هذا التبرير.

فى مواجهة تجريم الجنس:

كانت الكنيسة، فى أيامها الأولى، تنكر مثل هذه الأفكار. وكانت تعاليمها فى مسألة الجنس متأثرة كثيرًا بكتابات القديس بولس، الذى قال إن امتناع الرجل عن لمس المرأة يعتبر أمرًا طيبًا. ومع ذلك فمن أجل تحاشى الزنا، لتكن لكل رجل زوجته الخاصة لأنه أفضل للإنسان أن يتزوج من أن يحرق فى النار.

هذا الموقف المعادى للجنس، لم يكن الأكثر شيوعًا مما كان عليه الأمر فى بريطانيا وأمريكا، خلال القرن التاسع عشر. ومن بين أفكار ذلك العصر أن المرأة الفاضلة لا يمكن أن تستمتع بالجنس لذلك لم يكن غريبًا أن تفرز هذه الفترة تنوعًا فى العقائد والفرق الدينية، التى تشترك جميعًا فى موقفها من الجنس.. بعضها سار على خطى القديس بولس، داعيًا إلى «العزوبية»، والبعض الآخر مضى فى عكس الاتجاه إلى الاقتصار على زوجة واحدة، مما فتح الباب للعلاقات الحرة.. والقليل منها زايد على مواقف النفاق الذى ساد العصر، فاعتبر أن إشباع الرغبات الطبيعية هو تعبير عن الروحانية!

أعياد الحب:

كانت جماعة (الآجابيمونيين) من الفئة الأخيرة؛ كانت تدعو إلى الحب الروحانى، وقد ظهرت فى إنجلترا خلال أربعينيات القرن التاسع عشر، على يد القس هنرى جيمس برنس، الذى بدأ حياته ضمن الكنيسة الإنجليزية، حيث ذاعت شهرته كمبشر فصيح. كانت الناس تتدافع نحو أبرشيته الصغيرة، قادمة من بيوت تبعد عدة كيلومترات. وكانت السيدات يجدن فى برنس فتنة وسحرًا. وسرعان ما اكتسب شهرة جديدة، وتناثرت الشائعات عن سلوكه الفاضح، فوصلت إلى أسماع الأسقف الذى حرم على برنس أن يخطب ويعظ فى الكنيسة.

وبلا تردد، انطلق برنس ـ بمساعدة شاب يعمل فى كنيسته ـ يعظ فى الهواء الطلق، محققًا نجاحًا شعبيًا كبيرًا. وفى برايتون أقام كنيسته الصغيرة، وبدأت تنجذب إليه شخصيات المجتمع. كان يقول لجماهيره إنه مختار من الله، باعتباره الرجل الكامل، غير القادر على الخطيئة.. كما قال إنه خالد، وإن كل من يتبعه يصبح خالدًا أيضًا. ومن أغرب ما كان يقوله لأتباعه أن بإمكانهم أن يمارسوا الجنس بلا خوف من الخطيئة!

وبفضل الأموال الكثيرة التى جمعها من أتباعه الأغنياء، امتلك برنس ضيعة تصل مساحتها إلى ٢٠٠ فدان، بالقرب من سباكستون فى سمرست، وأطلق عليها «آجابيمون»، أى مقر الحب. وكان المقر عبارة عن بيت كبير، وإسطبلات، وأكواخ،

وكنيسة غير مكتملة البناء، أنفق عليها بسخاء من أجل توفير الرفاهية لستين من أتباعه الذين أقاموا معه فى المقر.

وبالإضافة إلى «المحبوب»، وهو الاسم الذى أصبح ينادى به برنس، لم يكن يقيم فى البيت الكبير سوى أتباعه من النساء. وكانت القاعة الرئيسية فى البيت الكبير تستخدم ككنيسة صغيرة.

عروس الحمل:

فى تلك الكنيسة الصغيرة كان برنس يقوم بالخدمات الدينية، التى أصبحت قليلة مع مرور السنين. كان فيها، بالإضافة إلى مستلزمات الكنيسة من مذبح وأرغن ونوافذ من الزجاج المعشق، ومنضدة بلياردو! وهكذا كان بإمكان الأتباع أن يمتعوا أنفسهم بمباراة بلياردو، أو أن يسترخوا وفى يد كل واحد منهم كأس من الخمر، المخزون بكثرة فى حجرة المخزن بالكنيسة.

أثناء الخدمات الدينية التى كانت تقام بالكنيسة، كان برنس يتفوق على نفسه فى النفاق الدينى، والاعتداء على حرمات الدين. كان قد أغوى عددًا من أتباعه النساء، تحت سمع وبصر زوجته التى كانت متوسطة العمر.. إلى أن سيطرت عليه فكرة ملحة، هى أن يختار عذراء صغيرة جميلة، لتكون العشيقة الخاصة.

الفتاة التى اختارها كانت يتيمة تدعى زوى باترسون، كانت قد جاءت بها إلى المقر والدتها الأرملة. وعندما توفيت الأم، تركت زوى ـ التى أصبحت فى عقدها الثانى ذات جمال لافت ـ فى رعاية «المحبوب».

قام برنس بحركة ماكرة، تمهد له الفوز بزوى، فأعلن للأتباع أن الله قد اختاره لتطهير المجموعة من جميع خطاياها، وأن سبيله إلى ذلك يكون بأن يختار إحدى العذارى الصغيرات لتكون «عروس الحمل»، وهو اصطلاح فى الديانتين اليهودية والمسيحية، ويشار به إلى أورشليم المدينة. الذى يهمنا هنا أن «الحبيب» أعلن للجميع أنه لا يعلم شيئًا عن شخص هذه العذراء، لكنه أكد لهم أن الله سيكشف عن شخصها فى الوقت المناسب.

الشيطان يرتكب إثمه الأخير:

ذات مساء، تجمع المخلصون فى الكنيسة، وسط جو من البخور الذى ينطلق من الأركان، والموسيقى الهادئة من الأرغن؛ ليشهدوا عملية اختيار عروس الحمل.

دقت الطبول تعلن مقدم برنس، الذى جاء يخطو بملابسه الحريرية بين الأتباع، إلى أن توقف أمام زوى المرعوبة، ذات السادسة عشرة.. قبَّلها، وأعلن أنها المختارة.. ثم قادها من يدها إلى مسكنه الخاص.

ومع مرور الوقت، أنجبت زوى طفلاً. لم يكن هذا هو الأول الذى تنجبه لبرنس نساء من الأتباع. الأطفال الذين أنجبهم فى بريستول، نقلهم إلى سباكستون. وعندما كان يأتى إلى الكنيسة بعض الزوار، كان يتم إخفاء الأطفال عن الأنظار. لأنه وفقًا للعقيدة،ولادة طفل ـ شأنها شأن الموت ـ يجب حجبها عن أتباع «المحبوب».



القس هنرى برنس يختار «عروس الحمل» من بين مجموعة العذارى اللاتى يقمن فى «مقر الحب»

أثار حمل زوى ـ بصفة خاصة ـ حيرة واندهاشًا كبيرين بين الأتباع، فالمفروض أن ارتباطها مع برنس، باعتبارها «عروس الحمل»، يقتصر على مجرد العلاقة الروحية الغامضة.. تدارك برنس الأمر بأن قال لأتباعه إنه لن تحدث حالات حمل ووضع بعد ذلك، وفسر ولادة ابنه باعتبارها «حركة الشيطان الأخيرة اليائسة ضد الله»!

قضايا وغرامات:

عقب هذه الواقعة، بدأ بعض الأتباع يبدون تشككًا تجاه «المحبوب»، وادعاءاته، وبادر البعض الآخر بالانسلاخ عن الجماعة.

ومن وقت لآخر كان برنس يواجه القضايا التى أقامها ضده أقارب النساء اللاتى ضللهن فى وكر الحب الذى يقيمه. وأقامها أيضًا أولئك الذين استولى على أموالهم. فأصبح عليه أن يدفع آلاف الجنيهات، مضطرًا إلى خفض الإنفاق فى مقر الحب، فاتخذ بعض الإجراءات الجديدة، ومن بينها إرغام الأتباع الذين خلا وفاضهم من المال على القيام بالأعمال المنزلية.

مع هذا كله بقى برنس دكتاتورًا مع جماعته.. بل بقى قادرًا على حض أتباعه على الامتناع عن الاتصال الجنسى، فقد كان هو فقط «المحبوب» المختار لممارسة هذه المتع.

وفى السنوات الأخيرة التى شهدت انهيار «آجابيمون»، جماعة برنس، أصبح الكسل، وليس الشهوة، هو الخطيئة الأولى.. أصبح الأتباع يأكلون ويسكرون ويتعاطون المخدرات.. ويلعبون البلياردو!

فى عام ١٨٩٩م، خذل برنس أتباعه بوفاته، كأى إنسان آخر!

عروس الروح الرئيسية:

كان المفروض بعد ذلك أن يغلق مقر الحب أبوابه، لكن بعض أفراد الجماعة وجدوا ضالتهم فى شخص جديد، أحد رجال الكهنوت فى كنيسة إنجلترا.. (جون سمايث ـ بيجوت).

سار بيجوت على خطى زعيمه السابق برنس، متخذًا سلسلة من «عروسات الروح»، كما كان يسميهن، من بين ٥٠ من الشابات الجميلات المتعلمات، اللاتى كن يشكلن فى جماعته (الدائرة العليا) من الأتباع، على حد تعبيره. وكانت زوجة بيجوت هى الوحيدة التى تؤمن بعقيدة «آجابى» من بين المقيمين فى «آجابيمون»، وقد اكتسبت محبة أهل القرية، بزياراتها للمرضى والمسنين، وبهداياها من الطعام للفقراء.. وربما كان ذلك سببًا من أسباب إهمال بيجوت لها.

بعد عامين من إقامته فى سباكستون، اقترن بيجوت بروث بريس، وأسماها «عروس الروح الرئيسية»، وكانت فتاة جميلة ذات عينين مفعمتين بالعاطفة، أنجب منها ثلاثة أطفال. ومع مرور السنين، بدأ بيجوت يميل إلى فتاة أصغر سنًّا من الأتباع. عندما أبدت روث مشاعر الغيرة، عاقبها علانية داخل الكنيسة بطلاقه منها، وبتنصيبه الأخت جريس؛ فتاته المفضلة، عروس الروح الرئيسية الجديدة.. فى نفس اللقاء!

قام بيجوت بمراسم تجريد روث من شاراتها وشعاراتها وأرديتها، الدالة على مكانتها فى الجماعة، كنوع من الردع، وكدرس للآخرين. أما روث فقد تحملت هذه الإهانات بروح راقية، وبلا انفعال.. وبعد وقت قصير، غادرت مقر الحب، الذى كان بيتًا لها طوال ١٥ عامًا، محرومة من اصطحاب أبنائها، بناء على أوامر «المحبوب». راحت تتجول فى أنحاء إنجلترا بلا نهاية، إلى أن عادت ثانية إلى المقر، وفقًا لطلب بيجوت.

عادت لتجد بيجوت قد فقد أكثر أتباعه، كما فقد سيطرته عليها، فلم يبقها معه سوى شفقتها عليه!.. وفى عام ١٩٢٧، توفى بيجوت عن عمر ناهز ٧٥ عامًا.. وكما حدث من قبله مع برنس، ثارت دهشة من بقى من أتباعه لموت الخالد!

الغريب فى الأمر أن جنازة بيجوت حضرها أتباع من إنجلترا والنرويج وفرنسا، حيث كان قد أنشأ فروعًا لعقيدته فى تلك المواقع.

هذه العقيدة، حتى فى أوج انتعاشها، كان من الصعب تصنيفها كمجتمع للحب الحر، فقد كانت معتقدات أتباعها الجنسية مختلطة إلى أبعد حد بشخصيتى «المحبوب» الأول والثانى، اللذين كانا يحتكران النشاط الجنسى لنفسيهما.. ولكونهما على درجة عالية من الادعاء، يصعب تحديد أبعاد تلك العقيدة.

مجتمع أونيدا:

على العكس من ذلك كانت عقيدة «مجتمع أونيدا». أَسَّسَ هذه الطائفة فى أمريكا، فى أربعينيات القرن التاسع عشر، جون همفرى نوييس، فى الوقت الذى انتعشت فيه التجارب المختلفة للحياة الطائفية.

كان نوييس يقول إنه بعد دخول المسيحية، يمكن للشخص أن يتلقى مباركة ثانية، يعفى بعدها من الاتهام بارتكاب الخطيئة. وكان يدعو إلى إلغاء الزواج بما يتضمنه من تملك، ووصل به الأمر إلى الدعوة بمشاع النساء، وباقى الممتلكات!

الفجر الذهبى
هيكل «إيزيس ـ يورانيا»

على مدى التاريخ، تستفيد العقائد والجماعات من بعضها البعض. كل من يتصدى لاختراع جماعة جديدة، يجد أمامه تنوعًا من الخيارات، ينتقى منها ما يراه مناسبًا للزعامة التى يصبو إليها. وهذه الجماعات تكون ذات توجهات متباينة.. بعضها يستهدف الارتفاع بمدارك عضو الجماعة، وبعضها يتسم بالعنف تجاه الذات أو الآخرين.. بعضها تكون له أهدافه السياسية، التى يسعى بها للتأثير على الحكومات.. بعضها يتسم بالتطهر والزهد، بينما يندفع البعض الآخر إلى الملذات والجنس.

بعض أصحاب هذه الجماعات يسهل أن تستدل عليهم من أنشطتهم وتصرفاتهم، والبعض الآخر يصعب أن تميزه عن أى شخص آخر حولك.. مثال هذا الصنف الأخير، كاتب البنك ألفريد سمايث!

حدث هذا منذ أكثر من قرن، عام ١٨٩٧م. كان ألفريد سمايث فى الخمسين من عمره، يعمل كاتبًا فى أحد البنوك. طوال أيام الأسبوع، يجلس خلف مكتب ضخم، يدون الأرقام فوق أكوام الأوراق التى تزحم مكتبه، معالجًا تدفق الجنيهات والشلنات والبنسات!

فى تمام السادسة، يرتدى معطفه، ويضع قبعته على رأسه، ويتناول مظلة المطر.. ثم يركب سيارة أجرة إلى منزله، فى شارع ميدافيل، ليتناول عشاءً هادئًا مع زوجته، ثم يقرأ قليلاً قبل أن ينام.

لكن.. فى بعض الأمسيات، يمضى سمايث إلى منزل عادى المظهر بوسط لندن، معروف لديه ولقلة من الآخرين باسم «هيكل إيزيس ـ يورانيا، لجماعة الفجر الذهبى».

هناك يدخل سمايث إلى عالم مختلف تمامًا عن عالمه النهارى اليومى المعتاد.. القناديل، والشموع، ودخان البخور الذى يضفى على القاعة جوًّا من الغموض.. بالإضافة إلى ما تضمه القاعة من رموز: وردة، وصليب، وهرم ناقص القمة، وتنين أحمر!

فى هذه القاعة، يتحول السيد سمايث موظف البنك إلى شخص آخر، يرتدى رداءً طويلاً عليه شارات ملونة، ويمسك بصولجان زهرة اللوتس، كرموز لاعتزام دخول الجو السحرى.. إنه مع غيره من الرجال والنساء الذين تضمهم القاعة، أتباع عقيدة الفجر الذهبى، خبراء الأعمال السحرية.

فن وعلم تغيير المدارك:

لابد أن زملاء سمايث فى البنك سينفجرون ضحكًا، لو ذكر أحد أمامهم كلمة «سحر»، فالعقل المعاصر المستنير لا يتصور وجود مثل هذا. لكن بالنسبة لأتباع «الفجر الذهبى» لا يعتبر

السحر حقيقيًا فحسب، بل من الأمور ذات الأهمية العظمى. إنه فى عقيدتهم «علم وفن إحداث التغيرات فى المدارك».



فى معبد «الفجر الذهبى»، وسط الشموع والبخور ورموز العقيدة، تتم طقوس انضمام العضوة الجديدة

أعضاء هذه العقيدة يؤمنون بأن دراسة تعاليم هذه العقيدة، المستمدة من الكتابات السحرية القديمة، وأداء طقوسها المعقدة، يتيحان لهم الهروب من قيود العالم المادى، فيصبحون «داخل الضوء»، ويؤمنون بأن القوى السحرية، وفنون ما وراء الطبيعة، تعمل مؤثرة على الكون.. وأن الأتباع المدربين يمكنهم أن يضعوا هذه القدرات والخبرات موضع التنفيذ.

المعارف المرفوضة:

«الفجر الذهبى» هى نتاج عوامل خاصة فى التاريخ الاجتماعى للقرن التاسع عشر فى إنجلترا، وقد تأثرت بتاريخ الحركة الروحانية إلى حد بعيد.

ونتيجة لهبوط حماس الناس لحركة الروحانية، بما شابها من خداع وغش على يد جيش الوسطاء الروحانيين، توجه عدد من الرجال والنساء إلى دراسة ما كان يعرف باسم «المعارف المرفوضة»، والمرفوضة هنا تنسحب على المؤسسات الرسمية التى ترفضها لعدم قيامها على أسس عقلية، وهذا هو الذى قاد إلى الاهتمام المتزايد بجماعات «البنائين الأحرار»، التى نعرفها اليوم باسم «الماسونية»، والتى سنأتى على ذكر تفاصيلها فيما يلى من حديث. المهم أن حركة «الفجر الذهبى» ظهرت فى ذلك الطقس.

مؤسس الحركة هو دكتور وليام ويستكوت، أحد أطباء القلب فى لندن. تقول وثائق هذه الحركة إن د. ويستكوت توصل إلى

خططه من أجل تنظيم عقيدة سرية غير مسبوقة، بعد شهور من استقرار السيدة هيلينا بلافاتسكى فى لندن عام ١٨٨٧م. لقد كان وصولها إلى لندن سببًا فى زيادة الاهتمام بالعقيدة (الثيوصوفية). غير أن ويستكوت كان يطمح إلى ما هو أبعد من ذلك.. لقد كان يريد تشكيل عقيدة سرية، لا يسهل الدخول فيها كما كان الحال فى الثيوصوفية والماسونية.

المخطوطات السرية المشفرة:

كيف توصل ويستكوت إلى ذلك التركيب المحكم لعقيدته؟

فى عام ١٨٨٧م، سلم القس وودفورد إلى ويستكوت ستين صفحة من مخطوط مكتوب بالشفرة. كان المخطوط مكتوبًا على ورق قديم، أضفى عليه الحبر الذى أصبح حائلاً المزيد من الإحساس بالقدم.. الغريب فى الموضوع أنه ثبت بعد ذلك أن المخطوط لم يكن قديمًا، قام شخص بكتابته وإضفاء القدم عليه قبل أن يقع فى يد ويستكوت بشهور!

استطاع ويستكوت أن يفك شفرة المخطوط، وبعد أول قراءة له، وضع يده على خمسة طقوس، شعر أنها تصلح أساسًا لعقيدة «الفجر الذهبى». على الفور استدعى رجلاً يدعى مازرز؛ ليكون نائبه فى الجماعة، ومساعده فى استنباط الطقوس اللازمة من المخطوط. وقد استفاد ويستكوت من انتسابه إلى الحركة الماسونية فى وضع الشكل التنظيمى للجماعة، وتسلسل القيادات داخلها.

في عام ١٨٨٨م، انتهى ويستكوت من كتابة الوثيقة الغريبة، التى كانت أول ما يقدم إلى الأتباع الجدد.

وما إن حل عام ١٨٩١م، حتى كانت الجماعة قد اجتذبت ما يزيد على ثمانين من الأتباع، من بينهم ٤٢ امرأة.

كما تم إنشاء فرع لهيكل (إيزيس - يورانيا) فى مدينة برادفورد، يضم حوالى ثلاثين من الأتباع.

فى عام ١٨٩٢م، أزاح مازرز رئيسَ الجماعة ويستكوت، وأعاد تنظيم الجماعة مستأثرًا بالقيادة. واستطاع بمساعدة زوجته الرسامة أن يضفى على مقر الجماعة العديد من التأثيرات القوية، التى كانت تفقد الأعضاء الجدد مقاومتهم (وهى الأشياء التى أشرنا إليها عند الحديث عن موظف البنك سمايث). لم يبق للدكتور ويستكوت سوى إدارة ما أطلق عليه «النظام الخارجى» فى لندن.

وكان جموح مازرز سببًا فى مرور الجماعة بحالات من الخلاف والتمزق.. واليوم لم يعد للفجر الذهبى وجود كتنظيم، وإن كانت الدراسات لتاريخ الجماعة وتوجهاتها السحرية ما زالت قائمة.

الشاعر ييتس عاشق الغوامض:

ولعل من بين أشهر أعضاء «الفجر الذهبى»، الشاعر الأيرلندى ييتس، وهو يقول فى إحدى النشرات التى تتحدث عن نظام امتحانات القبول فى العقيدة «الانتقال من درجة إلى أخرى،

عبارة عن استغاثة موجهة إلى الحياة العليا، وخطو فى المسار الرمزى، وممر عبر البوابة الرمزية، وتسلق تجاه النور الذى هو أساس نظامنا، من أجل أن يتدفق الإيمان بشكل دائم من أسفل الدرجات المرئية، إلى ذرا الدرجات المعروفة لنا..».

ومن كلمات ييتس يمكننا أن نلتقط لمحات من عنصر الجذب الذى توفره هذه الجماعات بالنسبة للعديد من البشر. معظم العقائد تَعِدُ الأتباع بحياة أكثر ثراء. وعن طريق دراسة تعاليم العقيدة، والمشاركة فى طقوسها، يمكن للفرد أن يرتقى فوق الحياة الدنيوية الميكانيكية التى يرتبط بها، ويلتحق بمصدر قوة جديد.

ولا يمكن لأحد أن يفهم أشعار وليم ييتس بشكل كامل دون أن يدخل فى الاعتبار انشغاله العميق على امتداد حياته بالعقائد الغريبة وبالأمور الغامضة، وهو يؤكد ذلك فى أحد خطاباته بقوله «الحياة الغامضة هى مركز كل ما أفعله وأفكر فيه..».

تعلق ييتس بالمسائل الغامضة فى أطوار مختلفة من حياته. كان أولها ارتباطه بعقيدة (الثيوصوفية) عندما كان فى السابعة عشرة من عمره، فى دبلن. وفى عام ١٨٨٥م، التقى فى دبلن بالثيوصوفى الهندى موهيتى تشاترجى، الذى كان قد وصل المدينة لإلقاء محاضرة، وعن طريقه تعرف على أفكار الفيلسوف الهندى سامكارا، الذى كان ينادى بسيادة الذات الشخصية،

وعدم واقعية العالم الخارجي. وقد استقال ييتس من الجمعية الثيوصوفية فى عام ١٨٩٠م.

وفى عام ١٨٨٧م، كان ييتس قد انتقل مع والديه إلى لندن. وقد جاءت استقالته من الجمعيةِ الثيوصوفية مباشرة قبل انضمامه إلى الفجر الذهبى، عندما كان مازرز يرأسها، وتضم فى ذلك الوقت الساحر كراولى، والممثلة فلورنس فار.

من خلال «الفجر الذهبى»، تعرف ييتس على الحياة الثرية للرمزية السحرية، التى لعبت دورًا أساسيًّا فى أشعاره. وقد انقطعت صلته بـ«الفجر الذهبى» بعد تفككها مطلع القرن العشرين.

جماعات السحر المعاصرة..
وديانة الإنجليز الأوائل

جماعات السحر، وعبادة الشيطان القائمة على بعض العقائد الوثنية، لها نظائرها المعاصرة فى كثير من المجتمعات.. ورغم الدعاوى التى تتردد فى أوساط جماعات السحر المعاصرة، من أنهم يحيون التقاليد القديمة لتلك الجماعات، فالأغلب أن جذور معظم جماعات السحر المعاصرة ترجع إلى الوقت الذى نشر فيه كتاب مرجريت موراى «العقائد السحرية فى أوروبا الغربية»، الذى ظهر عام ١٩٢١.

الأفكار الأساسية لكتاب دكتور مرجريت موراى تمضى كالآتى:

(١) محاكمات الجماعات السحرية التى جرت فى أواخر العصور الوسطى، وفى عصر النهضة، لم تكن انحرافات فكرية، بل كانت نتيجة للصراع الذى كان قائمًا بين المسيحية والحركات المنظمة المضادة للدين.

(٢) حركات السحر المضادة للدين هذه، يمكن اقتفاء جذورها فيما سبق من عقائد الخصوبة الكلاسيكية: الأم العظمى، والملك المقدس، والآلهة المتجسدة التى كان يجرى ذبحها لضمان الخير والخصوبة.

(٣) هذه العقائد كان لها - حتى القرن السابع عشر - نظامٌ خاصٌّ لتسلسل رئاستها الدينية، ومهرجاناتها الخاصة، وأماكنها المقدسة، وتكويناتها المميزة. وكان السحرة ينتظمون فى خلايا، يضم كل منها ١٣ ساحرًا وساحرة.

(٤) بعض ملوك إنجلترا كانوا أعضاء فى هذه الجماعات، فى مواقع عالية من تسلسل رئاساتها.

الخيالات الجنسية والسحرية:

تقول الدراسات إن الإحياء الفعلى المعاصر للعقائد السحرية مرجعه إلى الخيالات الجنسية والعقائدية للإنجليزى كبير السن، جيرالد جاردنر.

كان جاردنر، موظف الجمارك المتقاعد، غارقًا حتى أذنيه فى الروحانية، وعلم الإنسان (أنثروبولوجى)، وأيضًا الفلكلور والعقائد الشعبية. وكان يسيطر عليه - فى نفس الوقت - مزاج جنسى غير تقليدى، وميل إلى العقائد الشعبية، فسعى إلى الجمع بينهما فى عقيدة خاصة به.. عقيدة سحرية تعتمد على مجموعة من الطقوس التى تتضمن العرى، والضرب بالسياط، والاتصال الجنسى.

كان كتاب جاردنر الأول بعنوان «المساعد فى السحر العظيم» الذى يصف فيه - بأدق التفاصيل - العديد من الطقوس التى كان يعتمد عليها سحرة العصور الوسطى. وفى عام ١٩٥٤، نشر جاردنر كتاب «حرفة السحر اليوم»، وذكر فيه بوضوح أنه كان شخصيًا يمارس السحر، كما قال إنه فى ذلك الوقت كانت إنجلترا

تغص بعشرات الجماعات السحرية، تمارس طقوس السحر القديمة، مما أشار إليه فى كتابه الأول.

ديانة الأقزام الإنجليز:

فى كتابه هذا، أعلن جاردنر أن حرفة السحر كانت ديانة السكان الأوائل لبريطانيا، وقال إنهم كانوا من الأقزام، والأصل فى أساطير الجنيات. وتحت ضغط موجات الغزو المتتابعة، اضطر هؤلاء الأقزام، أو «البشر الصغار»، إلى التخفى وأخذوا معهم دينهم القديم. وعندما دخلت المسيحية إلى أنحاء الجزيرة البريطانية، ظلوا محتفظين بممارسة طقوسهم الغريبة العربيدة فى الأماكن النائية. وكان الفلاحون المؤمنون بالخرافات يخافونهم، أما النبلاء وزوجاتهم فقد كانوا ينضمون إليهم فى تلك الممارسات.

هذه المزاعم العجيبة، مع الإيحاءات الشائعة حول ممارسة السحرة المعاصرين لحفلات الجنس الجماعى، أثارت حماسة الصحافة البريطانية، فوجد جاردنر نفسه ـ وهو فى السبعين من عمره ـ مشهورًا. لاحقته صحافة الأحد الشعبية، ونشرت وصفه للقاءات السحر التى كان يطلق على الواحد منها اسم «سابات»، بما تتضمنه تلك اللقاءات من عرى وطقوس غريبة للضرب بالسياط.. وهكذا أصبح جاردنر المسن شخصية مثيرة لفضول وحماس الصحافة.

ولكن، من جيرالد جاردنر هذا؟ وما الذى ربط بينه وبين تراث السحر والسحرة؟

الأب الجالس عاريًا تحت المطر!

ولد جيرالد جاردنر في لانكشاير عام ١٨٨٤، لأب ثرى من تجار الأخشاب. وقد عرف والده بغرابة الأطوار والطباع.. فقد كان يخلع ملابسه جميعًا ويجلس فوقها، كلما هطلت الأمطار! ولعل هذا له علاقة بما شب عليه جاردنر من ميل إلى التلصص على العراة.. كما اعتاد الاستمتاع بضرب العصا على يد المربية التى كانت تشرف عليه فى صباه، خلال رحلات العائلة إلى الشرق الأوسط.

عاش جاردنر فى الشرق حتى عام ١٩٣٦، واكتسب ميلاً للأسلحة، وبخاصة الخناجر، وكانت كتابته الأولى عن (كريس)، الخنجر ذى الحد المتموج، الشائع فى الملايو.

عندما عاد إلى إنجلترا، اختار أن يصبح دارسًا وممارسًا للسحر. ووفقًا لقوله، إنه قد تعرف على السحر عام ١٩٤٦، عندما كان يعيش فى (نيو فورست) بجنوب إنجلترا.. وقصة ذلك أنه التقى هناك بسيدة تدعى «دورسى العجون»، كان يفترض أنها من الطبقة الأرستقراطية، علمته كل ما يتصل بالعقائد الشعبية والسحر، وأقنعته أن هذا جميعه يعتبر إحياء للديانات الوثنية القديمة.

الكثيرون من الباحثين لا يأخذون أقوال جاردنر على علاتها، ويرون أن الجانب الأكبر مما رواه مستمد من خياله، وليس من واقع فعلى عايشه.. كما كان هناك أكثر من دليل على ميله للكذب.

ملك السحرة:

ورغم كل ما تعرض له جاردنر من انتقادات، استطاع أن يجتذب المئات من الأتباع الجدد لعقائد السحر. وعندما مات فى الثمانين من عمره، ظهرت مانشيتات الصحف البريطانية تتحدث عن وفاة «ملك السحرة»!

وأيًّا كانت قيمة جاردنر كباحث، فقد نظر إليه الجميع باعتباره الشخصية الرائدة فى عملية إحياء حرفة السحر، فى جميع أنحاء بريطانيا والولايات المتحدة. ويقدر عدد جماعات السحر النشطة فى الولايات المتحدة وحدها حاليًا بما يتراوح بين عشرة آلاف وعشرين ألف جماعة.

ولكن ما هى بالضبط الممارسات السحرية التى أحياها جاردنر ملك السحرة؟

بالنسبة لنا جميعًا، كلمة «السحر» تستدعى صورة الساحرة قبيحة الوجه، ذات الطرطور الطويل، تمتطى مكنسة فى الفضاء، وتشيع لعناتها الشريرة.. غير أن السحرة المعاصرين يعلنون رفضهم واحتقارهم للشر، ويصرون على أنهم يمارسون السحر من أجل خير البشر.

تعذيب السحرة وحرقهم:

منذ حوالى عام ١٤٠٠، وبالتحديد ما بين عامى ١٥٥٠ و١٦٥٠، مرت أوروبا بالمحنة الكبرى للسحرة. فقد ساد الاعتقاد بأن المسيحية تتعرض لغزو ملايين من محترفى

السحر الأشرار، الذين يكرس كل واحد منهم نفسه للإطاحة بالعالم المسيحى.. وتمضى تلك الشائعة فتقول إن هؤلاء السحرة من الفلاحين الذين ينتشرون فى كل مدينة وقرية، ويرتحلون بطريقة سحرية فى طول وعرض القارة الأوروبية، أثناء طيرانهم الليلى للتجمع فى «السابات العظيم»، ويصنعون بذلك شبكة عالمية للشر!

ورغم حملة التعذيب والحرق التى تعرضوا لها، بالعشرات أول الأمر، ثم بالمئات، ثم بالألوف، فإن أعدادهم كانت آخذة فى الزيادة طول الوقت.. حتى خيل لصائدى السحرة أن العالم على وشك أن يقع إلى الأبد تحت السيادة المرعبة للشيطان.

وفى نهاية القرن السابع عشر، خمد لهيب المعركة مع السحرة، فانطفأت نيران المحارق، واختفت مشانق السحرة.. وفى المجتمعات الريفية، عندما كانت تسمع تمتمات العجائز، كن يتهمن بالتعامل مع الشياطين، لكن لم يكن هناك ما يدفعهن للخوف على حياتهن.

ومع ذلك، ظهرت أشكال جديدة للممارسات السحرية، مثل «القداس الأسود»، و«السحر الأبيض».

فى القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، شهد العالم تحولاً إلى شكل جديد من السحر، «القداس الأسود».

كان أعداء المسيحية يقيمون احتفالات تتهكم على القداس الكاثوليكى، حول جسد عذراء عارية، وكان يعقب هذه المراسيم

ممارسات للجنس الجماعى. ورغم عدم ادعاء هؤلاء الأشخاص أنهم من السحرة، فإن طقوسهم كانت تشبه إلى حد بعيد الممارسات السحرية التقليدية.

وبتأثير كتابات كل من مارجريت موراى، وجيرالد جاردنر، يدور نشاط السحرة حاليًا حول ما يطلق عليه «السحر الأبيض»، الذى يقول ممارسوه إنهم إلى جانب الخير دائمًا. فى هذا تقول سيبيل ليك، واحدة من أهم الساحرات الأمريكيات، فى حديث أجرته معها جريدة الديلى إكسبريس فى عام ١٩٦٤: «أنا ساحرة بيضاء، أتيت من سلالة طويلة كانت تمارس السحر الأبيض، الذى لا يرتبط إلا بعمل الخير..».

مراسيم التعميد العجيبة:

فى كتابه عن السحر والسحرة، يصف جيرمى كنجستون مراسيم تعميد ساحرة بيضاء، فيقول:

«فى حجرة البدروم، بمبنى فى مدينة لندن، حضرت ما قام به ساحر من الرجال، يقود جماعة من جماعات السحر الأبيض، عند تعميد فتاة فى العشرين من عمرها. عندما بدأت المراسيم، كانت الفتاة تضع على جسدها رداءً فضفاضًا.. ثم أسقطت ذلك الرداء، ووقفت عارية داخل دائرة قطرها حوالى ثلاثة أمتار، مرسومة على الأرض بالطباشير.. فى البداية، أقسمت الفتاة على الولاء والسرية، ثم تلقت ضربات بالسوط ضمن طقوس التطهير.. كان الجو يعبق بدخان البخور. وقف

الساحر المسئول عن مراسيم التعميد عاريًا، هو وغيره من السحرة النساء والرجال الذين وقفوا بانتباه خارج الدائرة. ثم قام السحرة بالرقص حول الدائرة من أجل تكثيف القوة السحرية، وتوجيهها إلى الفتاة التى كان يبدو عليها الخوف، وهى واقفة عند مركز الدائرة..».

ويواصل كنجستون وصفه لذلك المشهد الغريب، فيقول:

«قام الساحر المسئول بتقبيل قدميها، وهو يقول: مباركتان هما القدمان اللتان أتيا بك إلى هنا. ثم قام بتقبيل ركبتيها قائلا: مباركتان هما الركبتان اللتان ستركعان عند المذبح المقدس. ثم قبل جذعها وهو يقول: مبارك هذا الرحم، الذى بدونه لم نكن لنوجد. ثم قبل نهديها قائلا: مباركان هذان النهدان، اللذان تشكّلا بجمال. ثم قبلها فى فمها، وقال: مباركتان هاتان الشفتان، اللتان ستنطقان بالأسماء المقدسة..».

«بعد ذلك، تم غسل جسد الفتاة بالزيت والنبيذ، ثم جرى تعريفها بالأسلحة الثمانى لحرفة السحر. وهى الخنجر ذو المقبض الأسود المعروف عندهم باسم (آثيم)، والخنجر ذو المقبض الأبيض، والمبخرة، والسيف، والذيل، والعصا، والحبل.. وبعد السعى بها حول الدائرة، وتعريفها بأعضاء الجماعة، دعيت الفتاة للمشاركة فى المراسيم الختامية، وهى تناول الوجبة الطقسية من الكعك والنبيذ.. وهكذا أصبحت الفتاة فى آخر الأمر ساحرة بيضاء..».

ساحرات سالم:

قرية سالم، التى هى اليوم مدينة دينفرز بولاية ماساشوستيس الأمريكية، كانت تضم عام ١٦٩٢م مجتمعًا ريفيًا صغيرًا. كان سكانها من المتطهرين (البيوريتانز)، من ذوى السيرة الطيبة، مجدين فى عملهم، يؤمنون بالله ويخشون الشيطان.

لم تكن السنوات السابقة سهلة بالنسبة لهؤلاء المستوطنين الجدد. فقد عانت ماساشوستيس من هجمات الجراد والقحط، مما شكل كارثة بالنسبة للسكان الذين كان جل اعتمادهم على الزراعة، ومما زاد الطين بلة، تلك الحرائق الكبرى التى اندلعت فى بوسطن عام ١٦٩١، وخربت معظم المدينة. هنا ساد اعتقاد واسع بين معظم المستعمرين، مفاده أن هذه المصائب كانت من صنع الشيطان، بهدف إقصائهم عن «نيو إنجلاند».

هذا المناخ، هو الذى قاد إلى اندلاع موجات التطير، التى أشاعت هستيريا عام ١٦٩٢، عندما شاع أن البعض منهم يرتبطون بعلاقات شريرة مع الشيطان.. فراح أهل البلد يبحثون عن ضحايا من البشر، يلقون عليهم اللوم فى المصائب التى تنزل بهم، ووجدوا ضالتهم المنشودة فى أهل قرية سالم الصغيرة!

عبيد القس باريس:

قبل أن يتولى القس صمويل باريس المسئولية الدينية فى القرية، كان فى زيارة لجزيرة بربادوس، وعاد منها بعبدين

اشتراهما من هناك: جون الهندى، وهو كاريبى يعمل بالزراعة، وزوجته تيتوبا التى كانت تعمل فى بيت القس. وكان نصف تيتوبا كاريبيًا ونصفها الآخر إفريقيًا. لذا، جاءت ومعها أسرار (أوبياه) السحر الشائع فى جزر الهند الغربية، والذى جلبه الأسلاف من إفريقيا.



مشهد من محاكمات ساحرات سالم الشهيرة، تشهد فيه الفتيات المراهقات، ويطرحن قصصهن الخيالية

في شتاء عام ١٦٩١، بدأت تيتوبا تكشف عن قدراتها السحرية لبنتين صغيرتين في منزل القس، إليزابيث وأبيجيل. كانت إليزابيث، ابنة القس، فتاة هادئة مطيعة في التاسعة من عمرها. أما أبيجيل ويليامز فقد كانت ابنة خالة إليزابيث، وتكبرها بسنتين، ذات طباع مختلفة، مؤذية وشريرة. ولم يكن ذلك أمرًا شاذًا، فعنف التنشئة البيوريتانية، كان يتناقض بشدة مع تفتح الصغار للحياة.

في الساعات الطويلة، بعد ظهيرة الشتاء، وكلما كان القس وزوجته خارج البيت، كانت أبيجيل تهرع إلى المطبخ، لكي تستمع إلى حكايات تيتوبا عن السحر، وتطلب منها قراءة طالعها. وبالطبع كانت إليزابيث تحضر تلك الجلسات.

يد الشيطان في مطبخ تيتوبا:

ثم ما لبثت أن أتت فتيات أخريات، من بنات عائلات قرية سالم وخادماتهن، يسعين إلى التعرف على طالعهن. وصل عدد الفتيات إلى عشر، أعمارهن جميعًا دون ٢٠ سنة. وكان ما تقوم به تيتوبا من قراءة للطالع، يخلق إثارة شديدة لدى الفتيات، اللاتي اعتدن الحياة الرتيبة. ومن دواعي الإثارة أيضًا، أن قراءة الطالع كانت محرمة تمامًا بين البيوريتانيين الذين يعيشون في نيوإنجلاند، باعتبارها من أعمال الشيطان.

كان أثر الصرع شديدًا على الفتيات، فمرضن، وبدأت تصدر عنهن تصرفات غريبة. إليزابيث كانت تمر بحالات قريبة من

الغيبوبة، تظل تحدق في الفضاء لفترات طويلة، ثم تأخذ في الصراخ مرتمية على الأرض. حدث نفس الشيء بالنسبة لأبيجيل، بالإضافة إلى أصوات غريبة كانت تصدرها من حلقها، وكأنها تختنق.. بل كانت تنبح مثل الكلاب، وهي تحبو على أربع!

بدأ القس بتلاوة الصلوات على بنتي بيته، داعيًا لهما بالشفاء، فكانت أبيجيل تضع يديها على أذنيها حتى لا تسمع الصلاة.. أما إليزابيث فكانت تصرخ أثناء الصلاة، بل عمدت إلى تطويح الكتاب المقدس عبر الحجرة. تضاعف قلق الأب، فاستدعى الطبيب جريجز، الذي أعطى الفتاتين العديد من العقاقير، دون فائدة ترجى. إلى أن قال آخر الأمر، وهو يهز رأسه أسفًا: «إن يد الشيطان عليهن!».

تناقلت القرية قول الطبيب، وأخبار النوبات التي تصيب الفتاتين.. وأخذوا يربطون بين هذا، وبين النوبات التي تصيب عددًا من فتيات القرية. فما كان من القس باريس إلا أن طلب النجدة من خارج القرية، فأقبل نصف دستة من القساوسة، من القرية والقرى المحيطة بها.

عندما بدأ القساوسة صلواتهم الجماعية، كانت الفتيات تنصتن في هدوء، ثم بدأت تسودهن حالة من القلق، ورحن يتلوين كلما ذكرت كلمة «الله» أثناء الصلاة. وأخيرًا، انتهى الأمر بارتمائهن على الأرض في حركات عنيفة، مما اضطر القساوسة إلى التوقف عن صلواتهم.

كعكة الساحرة:

ثم تذكر القس باريس الأم تيتوبا، وما سمعه من ممارسة أهل بلدها لسحر (أبياه) و(الفودو). وتساءل عما إذا كان لمثل أنواع السحر هذه صلة بحالة ابنته.. بدأ يراقب تيتوبا بدقة. وذات يوم، وجدها تأخذ شيئًا من وسط رماد النار وتطعمه الكلب. وعندما سألها عن ذلك، قالت «هي كعكة يا سيدي..»، فتأكد باريس أنها «كعكة الساحرة». كانت تلك الكعكة تصنع من حبوب الجاودار بعد طحنها وعجنها ببول الطفل المضار، ثم تعطى للكلب. وكان الاعتقاد السائد أنه كلما بدأ الكلب في الاهتزاز بعد أكلها، تم شفاء الطفل.. لقد كانت تيتوبا تسعى إلى علاج حبيبتها الصغيرة إليزابيث.

استشاط القس غضبًا، وراح يضرب تيتوبا بالعصا، حتى اعترفت بممارستها السحر.

كان من الممكن أن يبقى الأمر عند حد تيتوبا.. لكن عندما سأل القس باقي الفتيات، عما إذا كانت هناك غيرها من النساء اللاتي يمارسن السحر، ذكرت أبيجيل اسم «السيدة جود»، والسيدة «أوزبورن».

في ٢٢ فبراير ١٦٩٢، صدرت أحكام بالقبض على تيتوبا وجود وأوزبورن. وفي اليوم التالي، أقبل قاضيان من المدينة جون هاثورن، وجوناثان كوروين. بدأت المحاكمة باستجواب سارة جود، التي أنكرت التهمة، وعندما استدار القاضي إلى

الفتيات يسألهن، أجمعن على ممارستها السحر.. ثم بدأت إحداهن فى التلوى والأنين معبرة عن ألمها، فتبعتها الأخريات بالصراخ والقيام بالحركات المتشنجة، قائلات إن روح جود تعضهن وتقرصهن!.. وكان ذلك هو السند الوحيد للاتهام.

نفس الشيء حدث عند محاكمة السيدة أوزبورن، التى توفيت بعد إرسالها إلى السجن بشهرين.

تيتوبا تعاقدت مع الشيطان!

وأخيرًا، جاء دور تيتوبا.. كانت قد تعلمت درسًا من ضرب القس لها. لقد توقف عن ضربها بالعصا عندما اعترفت له بأنها تمارس السحر. سألها القاضى هاثورن: «هل حدث لك أن رأيت الشيطان؟»، فأجابت: «لقد حضر إلىَّ الشيطان، وطلب منى خدمة..». خيم الصمت المطبق على من كانوا فى قاعة المحكمة، وتعلقت العيون بالمتهمة وهى تروى قصتها.

على مدى ثلاثة أيام، راحت تحكى عن كل ما هو عجيب.. قالت إن الشيطان يأتى إليها متخفيًا، على صورة قط أو فأر أو خنزير، وإن كان غالبًا ما يتخذ هيئة رجل أسود طويل بشعر أبيض.. وإنه كان يقول لها إنها طارت فوق عمود، والتقت بساحرات غيرها فى بوسطن ومدن أخرى.. وإن الساحرات اللاتى على هيئة سارة جود وسارة أوزبورن وغيرهن، كن يأمرنها بأن تقرص البنات الصغيرات، بما فى ذلك إليزابيث التى كانت تحبها.

شعور كبير بالارتياح ساد أهل القرية، فهاهى إحدى الساحرات تعترف على نفسها، وعلى الأخريات.. وهكذا انفتحت أبواب الجحيم على كل من تلتصق به تهمة السحر.. صدقًا أم كذبًا.

القس الذى حضر وجبة الشيطان!

فى شهر إبريل، حدثت الصدمة الكبرى.. الفتاة الصغيرة آن باتنام، التى كانت تتزعم توجيه الاتهامات بالسحر، بتأثير أمها المصابة بالاضطراب العصبى، حكت أنها كانت تسير فى المكان الذى يقال إن الساحرات كن يجتمعن فيه لتناول وجباتهن الشيطانية، من الخبز الأحمر المغموس فى الدم.. ثم توقفت الفتاة فجأة لتصيح «أوه.. مخيف.. مخيف.. هاهو القس يأتى!..ما هذا؟، هل القساوسة من السحرة أيضًا؟..». لم تكن قد تعرفت على شكل ذلك القس، لكنها ذكرت أن اسمه كان القس جورج بارون، الذى كان القس السابق للقرية!

بديهى، أن يتردد القضاة فى الأمر بالقبض على القس.. لكن رواية البنت تدعمت بما قالته ميرسى لويس، التى كانت تعمل خادمة عند ذلك القس، قبل أن تعمل خادمة فى هذا البيت.

فصدر الأمر بالقبض على القس بارون، بينما كان يتناول الطعام مع أسرته.

ثم تكررت القصة مع القبطان جون آلدن، الذى كان قبطانًا محترمًا. كانت عائلته قد أبحرت إلى القارة الجديدة على

المركب الشهير (ماى فلاور) فى عام ١٦٢٠، ضمن أول أفواج المهاجرين.. فى الجلسة الأولى لمحاكمته، عندما نظر القبطان إلى الفتيات اللاتى وجهن إليه الاتهام، انكمش وسقطن على الأرض.. وعندما شعر أن هذا سيُتخذ دليل إدانة له، سأل القاضى مستنكرًا: «ولماذا لا تسقط أنت أيضًا على الأرض عندما أنظر إليك؟». غير أن المحكمة تجاهلت سؤاله وأرسلته إلى السجن.

كان آلدن مصممًا على عدم تعليق حياته على أقوال تنطق بها فتيات مختلات، فقام برشوة حارس السجن، وفر هاربًا على حصان إلى مكان خفى، ظل به حتى انقضت حمى الاتهام بالسحر.

عودة العقل إلى سالم:

فى شهر يونيو، كانت الفتيات قد اتهمن ما يزيد على مائة شخص، من مدينة سالم وغيرها من المدن والقرى المحيطة بها.. وتواصلت المحاكمات والإدانات وعمليات الشنق!

ومع مرور الزمن، تضاعف عدد المتهمين، وتضخمت أحكام الإدانة.. ومن بين ٢٠٠ متهم، صدر الحكم بالإعدام شنقًا على ٣٠ منهم!

ولم تتوقف تلك المذبحة، إلا عندما عاد حاكم ولاية ماساشوستيس إلى ولايته.

كان حاكم الولاية يقود قواته فى معركة مع الهنود الحمر، عند الحدود الكندية.. وعندما علم بما حدث فى ولايته أثناء غيابه، عزل القاضى، وعين محكمة جديدة، أسقطت تلك الاتهامات الجزافية، وأطلقت سراح المسجونين، الذين نجوا من عقوبة الإعدام.

ثم اكتشف الجميع أن بنات قرية سالم المراهقات قد افتعلن ذلك كله، باعتباره فرصة ذهبية للهروب من قيود التنشئة الدينية المتزمتة، التى كانت شائعة فى بعض المجتمعات البيوريتانية.

واليوم.. تحولت قرية سالم إلى مزار سياحى. أما البيت الذى كانت تجرى فيه المحاكمات، فقد أصبح متحفًا، يتردد عليه السائحون من أنحاء أمريكا.

الماسونية..
جماعة أم نقابة؟!

فى كل مكان، كانت الماسونية تلقى ارتيابًا فى طبيعتها، وأهدافها، ومدى الفناء الذى تكنه للمجتمع الذى تنشط فيه.. وعلى مدى التاريخ تلقت الماسونية العديد من الاتهامات والشكوك فى نشاط أتباعها.. ومن أكبر مواطن الشك فى الماسونية، إحساس المجتمعات التى تنشط فيها، بأن وراء ذلك النشاط سرًّا لا يكشفون عنه. وحقيقة الأمر أن الماسونية قد نشأت فى بدايتها للحفاظ على أسرار.. أسرار المهنة!

الماسونية، أو حركة البنائين الأحرار، ترجع فى أصولها إلى طائفة الحرفيين الذين يعملون فى فنون البناء، فى العصور الوسطى.

كان البناء والمعمار - رفيع المستوى - يتمتع بمكانة لا بأس بها، وخاصة الشق من المبانى الذى يعتمد على الأحجار الحرة، وليس كتل أحجار البناء العامة، ذلك النوع من الأحجار المزخرفة فنيًّا والتى كانت تستخدم فى العقود والأقواس وتزيين الواجهات. لهذا حظى هؤلاء الحرفيون النادرون بلقب «البناءون الأحرار»، باعتبار أنهم كانوا أحرارًا فى التنقل حيث يرغبون، دون القيود التى كانت توضع على غيرهم من الحرفيين، من جانب الإقطاعيين وسلطات المدن.

فى مقر نقابتهم، الذى كان يطلقون عليه «المحفل»، كانوا يحفظون أسرار صنعتهم وتجاربهم، وقواعد تعاملهم الأخلاقية. وكانت لهم علامات سرية للتعرف على بعضهم البعض، لكى يمنعوا الآخرين من اختراق عالمهم الخاص.

هيكل سليمان.. كرمز:

بدأ الماسونيون فى قبول أعضاء شرف لجماعتهم، فى القرن السابع عشر ببريطانيا، وقد اقتصر ذلك على السادة أصحاب الاهتمام بالهندسة المعمارية (المهنة التى نمت خارج إطارهم)، وعلى أولئك الذين كانت تجتذبهم عناصر السرية فى حركة البنائين الأحرار.. وشيئًا فشيئًا، ظهر شكل جديد للماسونيين، يضم غير الممارسين، كما يضم هواة التأمل النظرى. وقد عرف عنهم أنهم كانوا يحرصون على إضفاء المعانى الرمزية على خامات وأدوات البناء، وأساليب ممارسته.. وكان لبعض تلك الرموز صلة ببناء «هيكل سليمان».

وكانت الحركة الماسونية مبجلة للغاية فى بريطانيا.. وغالبًا ما كانت تضم بعض الشخصيات البارزة، بما فى ذلك أفراد العائلة المالكة البريطانية. وفى المستعمرات الأمريكية، كان قادة الحركات الثورية منضمين إلى الماسونية، مثل جورج واشنطن، وبنيامين فرانكلين، وألكسندر هاملتون. والمبادئ التى كانت الماسونية تنادى بها (و التى كان ينادى بها أيضًا بعض مستنيرى القرن الثامن عشر)، تضمنها الدستور الأمريكى

الجديد.. مثل حرية الحديث والصحافة والعبادة، والحكومة النيابية، والتحرر من الحبس الإذعاني غير القانوني.



جورج واشنطن، أول رئيس لأمريكا، كان عضواً في الجمعية الماسونية، وهو في الصورة يحمل عدة رموز من الرموز الماسونية

صراع مع كنيسة روما:

وقد شهدت الماسونية بعض الأوضاع المضطربة فى أوروبا، رغم قبول بعض الملوك نشاط الحركة.. بل رغم انضمام فردريك الكبير حاكم بروسيا إليها، فقد أثارت الريب والشكوك بالنسبة للباقين، وشعروا أن الأفكار المتحررة التى تأتى بها الماسونية يمكن أن تشكل تهديدًا لقوتهم، لذلك فعلوا كل ما بإمكانهم لكبتها.

كما أن الماسونية، سرعان ما دخلت فى تناقض مع كنيسة روما الكاثوليكية. وفى عام ١٧٣٨، بعد حوالى ٢٠ سنة من تأسيس الحركة الماسونية فى أوروبا، قام البابا كليمنت الثانى عشر بشجبها، وهدد الكاثوليكيين الذين يدخلون فى عضويتها بعذاب العزل.. قال إن الماسونية لا بد أن يكون لديها ما تخفيه، وإلا ما أصرت على السرية. واتهم الماسونية بأنها مفسدة للأخلاق، ومنحرفة، وخطرة على «سلامة الأرواح»، ويغلب الشك فى «تجديفها».

بعض الدول الأوروبية الكاثوليكية، مثل فرنسا والنمسا، تجاهلت ببساطة تحذيرات البابا كليمنت.. لكن إسبانيا والبرتغال تقبلت آراء البابا، فكان يتم القبض على الماسونيين، وتعذيبهم، على يد السلطات.

بصماتها على الثورة الفرنسية:

على مدى تاريخ الماسونية، كان دائمًا ما يثور الشك فى أنها وراء جميع أنواع الانقلابات السياسية: الثورة الفرنسية، والحرب

الأهلية فى إسبانيا، واغتيال الأرشيدوق فرانز فرديناند عام ١٩١٤، الذى اندلعت فى أعقابه الحرب العالمية الأولى.

ومما أساء كثيرًا للماسونية افتراض اشتراك الماسونيين فى مؤامرة على نطاق العالم، ترتبط بنشاط اليهود ومؤامراتهم فى كل مكان. وكان هذا أحد أهم أسباب إلقاء بعض الماسونيين فى معسكرات الاعتقال.

والأكيد، هو أن الماسونية شاركت فى بعض الحركات السياسية. وحركة الكاربونارى، وهى الجمعية السرية التى ظهرت فى بدايات القرن التاسع عشر، مطالبة بتوحيد إيطاليا، كانت تتشكل أساسًا من العناصر الماسونية. كما أن الفلسفة الليبرالية للجمعية جاءت موازية تمامًا للعقائد الماسونية.

وقبل هذا، كانت بصمات الماسونية واضحة تمامًا على الثورة الفرنسية (١٧٨٩ - ١٧٩٢)، وقد ذكر بعض الكتاب أن الأحداث العنيفة كانت من تصميم مجموعة صغيرة تضم ٢٧ ماسونيًّا. مثل هذه الفكرة تلقى إعراضًا من المؤرخين المحدثين، لكن الثابت هو أن بعض الكتاب الذين أشعلت أفكارهم الثورة - على الأقل فى مراحلها المبكرة - كانوا أيضًا من الماسونيين.

«العقل» فى كنيسة نوتردام!

لقد فرخت الثورة الفرنسية عددًا من العقائد والجماعات، وإن لم يستمر أى منها أكثر من عدة سنوات.

فى البدايات الأولى، ظهرت عقيدة «العقل»، التى أصبحت لبعض الوقت الدين الرسمى لفرنسا.. لقد تحولت الكنائس فى

أنحاء فرنسا إلى هياكل لعقيدة «العقل»، حيث حلت مراسيم مناسبة لها مكان القداس التقليدى.

فى كتابه «التاريخ الدينى لفرنسا المعاصرة»، يصوغ أدريان دانسيت هذه المراسيم كما يلى:

«وضعت الصخرة فى مكان جوقة المرتلين فى كنيسة نوتردام، وأقيم حولها معبد دائرى، مخصص لعبادة (الفلسفة). وفى صباح العاشر من نوفمبر، وبحضور أعضاء الكميونة، بدأ موكب الفتيات اللاتى سرن أعلى وأسفل تلك الصخرة، يحيين خلال هذا (شعلة الحقيقة) كلما مررن بجوارها. ثم خرجت من المعبد واحدة من مغنيات الأوبرا، بملابس بيضاء فوق عباءة زرقاء وغطاء رأس أحمر (وهو رمز فرنسا)، وجلست على عرش تغطيه الحشائش.. كانت المغنية تمثل (العقل)، وراحت الفتيات يرددن ترتيلة لها. بعد ذلك، جرى حمل الإلهة على أكتاف أربعة مواطنين.. ثم بدأ المشاركون والحاضرون اجتماعهم..».

لم تستمر عقيدة (العقل) أكثر من بضع سنوات.. إلى أن أعاد نابليون السلطة الكنسية لكنيسة روما الكاثوليكية.

كما رأينا من قبل فى حالة جماعة «الحشاشون»، غالبًا ما نجد صلة بين العقائد والجماعات الخاصة، وبين أحد الأديان السماوية.. وتاريخ الجماعات والعقائد ـ القديم والحديث ـ زاخر بالجماعات التى قامت على فكرة العودة الثانية للسيد المسيح.. ومن بين هذا، القصة الطويلة لما أطلق عليه «فرسان الهيكل».

فرسان الهيكل..
و نهايتهم المأساوية

كانت بداية فرسان الهيكل شديدة الاختلاف عن نهايتهم المأساوية.

كانوا فى الأصل يطلقون على أنفسهم اسم «الجنود الفقراء للمسيح وهيكل سليمان».. جماعة صغيرة من الفرسان أخذت على عاتقها حماية الحجاج إلى الأراضى المقدسة..

فبعد نجاح الحملة الصليبية الأولى، عام ١٠٩٩، أتيحت للحجاج الأوروبيين زيارة القدس، وغيرها من الأماكن المقدسة. غير أن طريق الحجاج كان محفوفًا بالمخاطر، يتعرض فيه الحجاج لسلب نقودهم، وحياتهم أحيانًا. فقرر هوج بايين، أحد محاربى الحملة الصليبية الأولى، أن يشترك مع مجموعة من الفرسان فى محاربة العصابات، وحماية الحجاج.

عرف ملك القدس بالدوين الثانى الدور المفيد الذى يمكن أن تقوم به هذه المجموعة من الجنود المسيحيين، فأفرد لهم جناحًا من السراى الملكى، بالقرب من موقع هيكل سليمان.. وكانت هذه أولى الهدايا العديدة التى تلقاها فرسان الهيكل، على مدى ٢٠٠ سنة تالية، والتى أتاحت لهم نفوذًا قويًا فى أوروبا.

كانوا يحظون بالتقدير فى بداية أمرهم، لما عرف عنهم من زهد وتقشف وشجاعة، فكانوا يفتخرون بأنهم لا يبدلون ملابسهم حتى تتهرأ، أو تمزقها سيوف الأعداء. كتب عنهم سانت برنار كبير الرهبان فى دير كليرفو: «تراهم يمتنعون عن تمشيط شعورهم، ونادرًا ما يغتسلون، يعلوهم العرق والتراب». وكان يثنى عليهم لجهدهم الدائب فى جمع الأتباع من الفرسان، وجعلهم ملتزمين بمبادئ الجماعة.

وكان سانت برنار هو الذى أقنع الراهب الكبير هوج دى بايين بقيادة الجماعة. وأول ما فعله هوج هو أن وضع قانون فرسان الهيكل، الذى يغطى جميع ممارساتهم وتنظيماتهم وواجباتهم وطقوسهم. وقد أدرك هوج أهمية تغليف الطقوس بقدر من السرية، يميز الجماعة عن غيرها.. ومع ما وفرته هذه السرية من عنصر جذب للفرسان الجدد، فقد كانت وبالاً على الجماعة فى آخر الأمر، وألصقت بهم تهمة التجديف والكفر، التى حوكموا بها.

الأموال تتدفق:

فى عام ١١٢٨، لم يكن يلقى نظام فرسان الهيكل سوى الاعتراف به، والهدايا والأموال التى تتدفق عليه. وعندما قام هوج بجولته الأوروبية، تنافس الملوك والأمراء فى دعم النظام. وكانت هداياهم تتراوح بين الغابات والأراضى والمزارع والقلاع، بالإضافة إلى قرى بأكملها!

وبعد هذا بعدة سنوات، أعطت الكنيسة فرسان الهيكل الحق فى أن تكون لهم كنائسهم الخاصة، وكهنوتهم الخاص، بالإضافة إلى إعفائهم من مكوس الكنيسة والضرائب المدنية. وكانوا بهذا، يتبعون بابا روما مباشرة.

وبديهى أن استقلالهم هذا لم يمضِ بلا مقاومة. لقد عارض الأساقفة والكهنة هذه السلطة التى تمتع بها فرسان الهيكل، غير أن البابوية وفرت لهم دائمًا الدعم الكامل، لأنها كانت تسعى إلى تقوية الوجود المسيحى فى الأراضى المقدسة، مما كان يوفره فرسان الهيكل. بل كان الحكم بالطرد من الكنيسة، جزاء كل من تخول له نفسه مهاجمة فرسان الهيكل.

وقد أثبت فرسان الهيكل أنهم أهل للثقة التى وضعت فيهم، خلال كارثة الحملة الصليبية الثانية، ما بين عامى ١١٤٦ و١١٥٠.

لقد حاربوا بشجاعة وإقدام، للحيلولة دون أن تتمخض الحملة عن كارثة شاملة. وعن ذلك قال وزير لويس السابع ملك فرنسا: «لم يحدث أن فروا من قتال، وكانوا يبدون الطاعة الكاملة لمعلمهم الكبير».

وفى السنوات التالية دخل فرسان الهيكل فى العديد من المعارك، بعضها كانوا هم الذين أثاروها. ولم يكن جميع كبار المعلمين الذين تعاقبوا على قيادة النظام على نفس القدرة فى مجال التضحية والإيثار، التى كانت للقائد الأول هوج بايين.

وفى ظل الأوضاع السياسية المضطربة فى الأراضى المقدسة، حيث كانت الجماعات المتصارعة من المسيحيين والمسلمين تتنافس من أجل المزيد من النفوذ، توافر لفرسان الهيكل العديد من الفرص لاكتساب القوة والتأثير فى مجرى الأحداث.

صفقات مالية مع الجميع:

هكذا، تمتع فرسان الهيكل بكثير من الأمجاد الدنيوية، نتيجة لوضعهم كمجتمع مستقل ذاتيًّا، داخل العالم المسيحى.. وأيضًا نتيجة لثرائهم الكبير، وأملاكهم الواسعة.. وقد بلغ دخلهم السنوى فى أوروبا وحدها ما يوازى ٩٠ مليون دولار.

كان الجانب الأكبر من قوتهم مستمدًّا من وضعهم كرجال المال الرئيسيين فى أوروبا والشرق الأوسط. وبفضل قلاعهم المتناثرة شديدة التحصين، أصبحوا فى وضع مثالى لحراسة ونقل الأموال. بل إنهم كانوا يعقدون صفقات مع المسلمين فى أوقات الهدنة.

من بين الملوك الذين استدانوا منهم، ملك فرنسا فيليب الرابع، الذى جاءت نهاية فرسان الهيكل على يديه!

وقصة ذلك أنه فى بداية القرن الرابع عشر، فقد المسيحيون سيطرتهم على فلسطين، فانتقل المركز الرئيسى لفرسان الهيكل إلى قبرص. لكن النظام بقى على قوته السابقة فى أوروبا. فى ذلك الوقت كان الملك فيليب يمر بأزمة مالية، أوقع نفسه فيها، ووجد أن الأفضل من مواجهة مسئولية رد ما استدانه من فرسان الهيكل، هو أن يقضى على نفوذهم!

وبدأ فى تنفيذ خطته، بأن دمج فرسان الهيكل مع جماعة أخرى، هى فرسان هوسبيتالر، فى نظام واحد، تحت اسم جديد هو «فرسان أورشليم».. وقرر أن يكون المعلم الكبير للنظام الجديد من البيت المالك الفرنسي. لكن خطته هذه رفضت من النظامين..

اتهامات بالجملة:

غير أن الملك فيليب لم يفقد الأمل.. وجاءت الفرصة المواتية على يد أحد الأعضاء المنشقين عن فرسان الهيكل، وكان يدعى إيكيو دى فلورين. نقل ذلك المنشق إلى الملك حكايات شنيعة عن فضائح فرسان الهيكل، تتضمن التجديف، والانحراف الجنسى، وعبادة الشيطان..

قال للملك إن طقوس ضم الفارس للنظام كانت تتضمن البصق على الصليب، وتقبيل فم وسرة ومؤخرة الشخص الذى يجرى تعميده كواحد منهم.. هذا بالإضافة إلى ممارسة الشذوذ الجنسى، وعبادة الشيطان!

كانت هذه التهم، هى بالضبط ما يسعى فيليب لسماعه. فقام بزرع بعض الجواسيس داخل النظام لكى يجمعوا له القرائن. وفى نفس الوقت، سعى أن يحظى بتأييد البابا كليمنت الخامس، الذى كان يدين للملك فيليب ببقائه على الكرسى البابوى. تردد البابا قليلاً.. لكنه أرسل إلى الملك يقول: «هناك الكثير مما لا يزال من المستحيل إثباته. على أى حال، فإننا نعتمد كثيرًا على اتصالاتك فى هذا الشأن..».

شعر الملك فيليب أن البابا أعطاه الضوء الأخضر، فاندفع إلى تنفيذ خطته.

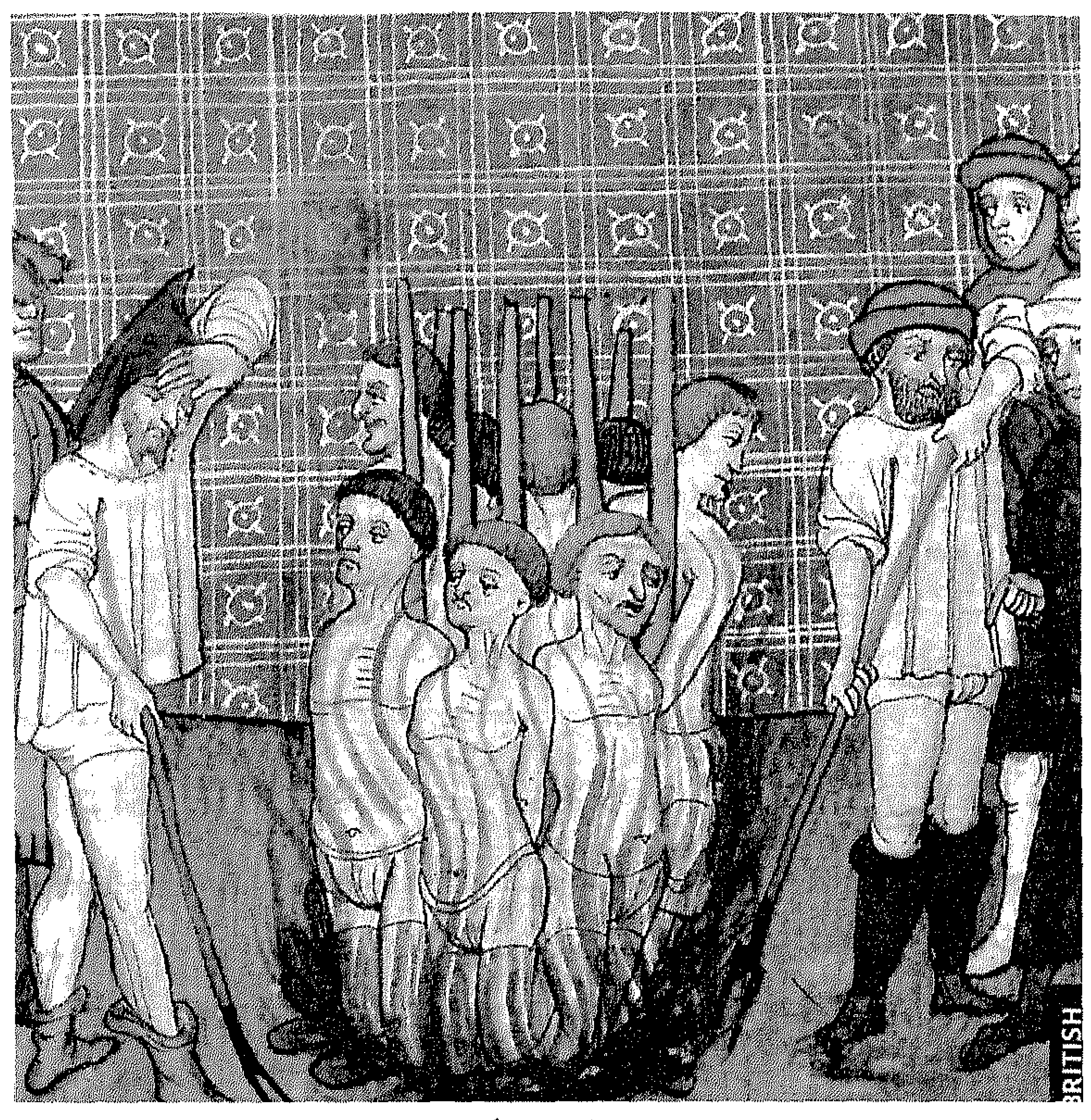
تعذيب واعترافات:

فى ليلة ١٢ أكتوبر ١٣٠٧، قام رجال الملك فى جميع أنحاء فرنسا بالقبض على حوالى ١٥ ألف فرد من فرسان الهيكل، ومن الحرفيين والعمال الذين يعملون فى ممتلكاتهم.

ومن بين أهم المقبوض عليهم كان المعلم الكبير، وقائد فرسان الهيكل حينذاك، جاك دى مولاى، والذى كان فى باريس.

تم استجواب أفراد النظام على أيدى المحققين القضائيين، وتعذيبهم على أيدى ضباط الملك، من أجل الوصول إلى أكبر قدر من الاعترافات. ولا عجب أن كانت تلك الوسائل مؤثرة، فمن بين ١٣٨ فارسًا تم استجوابهم فى الشهر الأول، اعترف ١٢٣ بأنهم بصقوا على الصليب (أو قريبًا منه)، ضمن مراسم التعميد.. وإن تضاربت الأقوال بشأن عبادة الشيطان. اعترفوا أنهم خلال المراسم السرية كانوا يعبدون نوعًا من الرموز، لكن اختلفت الأقوال حول الرمز، وهل كان جمجمة بشرية مرصعة بالجواهر، أم كان رفات معلم سابق، أم رأسًا ذا ثلاثة وجوه!

الكتاب المعاصرون الذين اهتموا بالموضوع، وافقوا بشكل عام على أن التجديف كان يشكل جانبًا من مراسيم التعميد، ربما كنوع من اختبار الطاعة.. وأنه ليس عجيبًا بالمرة أن تكون هناك ممارسات جنسية شاذة، بين ٢٠ ألف رجل محظور عليهم صحبة النساء.



رسم يصور محارق فرسان الهيكل، بعد أن انقلب عليهم الملك فيليب

كرة قدم سياسية:

خلال السنوات السبع التى أعقبت القبض على فرسان الهيكل فى فرنسا، أصبح النظام الذى كان مصدر فخر وقوة ذات يوم، أشبه بكرة من كرات القدم التى يجرى اللعب بها فى المباريات.

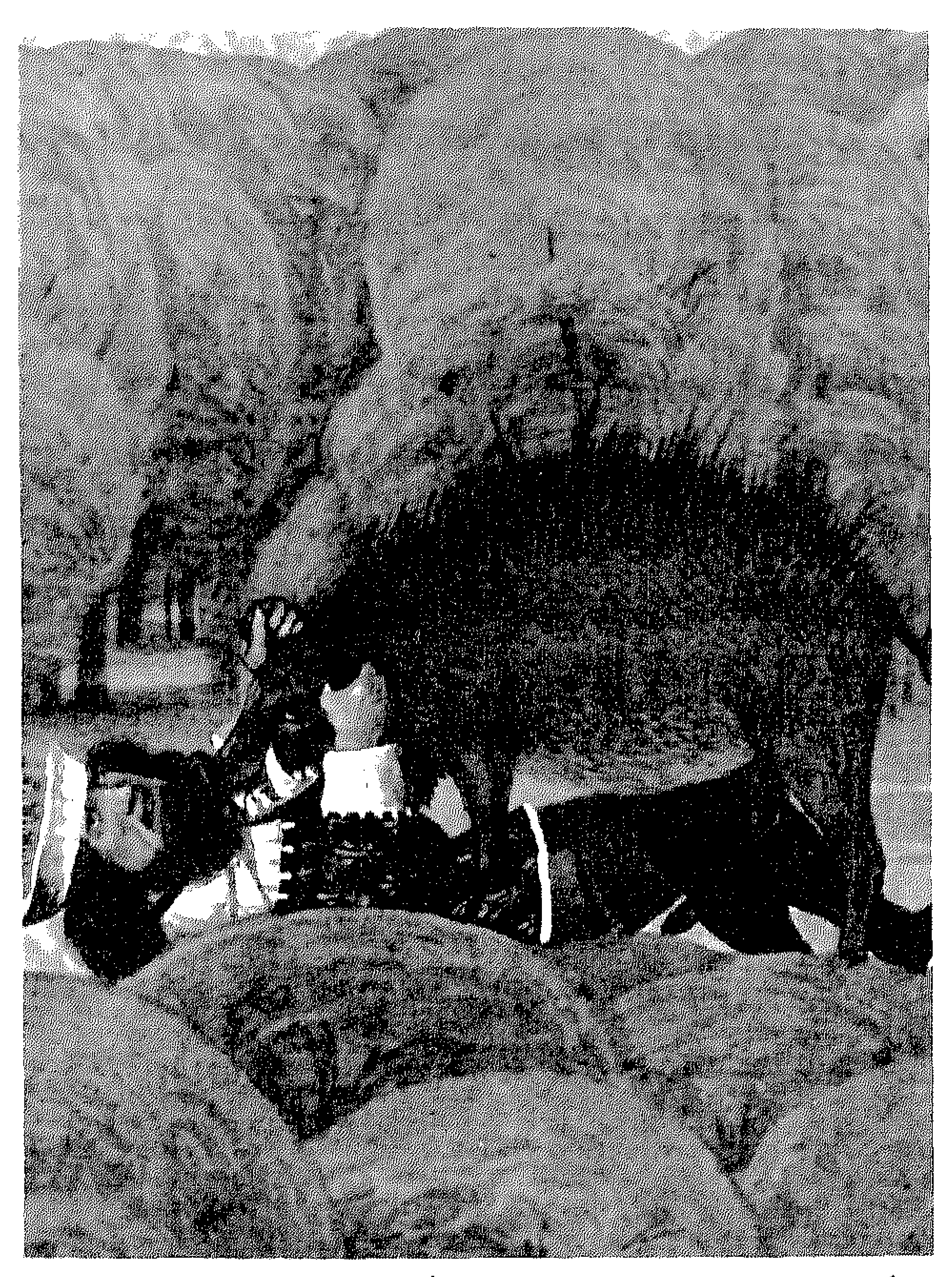
دافع البابا المتردد عن حقه فى توجيه الاتهام إلى فرسان الهيكل، بادئًا بتعليق سلطات التحقيق الفرنسية، ثم مصدرًا بيانًا بابويًّا داعيًا فيه جميع الملوك والأمراء إلى القبض على فرسان الهيكل، ثم مجادلاً الملك فيليب حول الإجراءات التى اتبعها فى نظام المحاكمة.

بعد مماطلات وتحريات سابقة للمحاكمة قامت بها الكنيسة، بدأت المحاكمة العامة لفرسان الهيكل فى إبريل ١٣١٠، بإحدى مدن جنوب فرنسا. العديد من فرسان الهيكل تراجعوا عن اعترافاتهم السابقة، دفاعًا عن نظامهم، فجرى إحراق ٦٧ فارسًا بتهمة العودة إلى الكفر. وقاد هذا إلى استمرار الباقين فى التمسك باعترافاتهم، خوفًا على أنفسهم.

تواصلت المحاكمات على مدى عامين، ثم أعلن البابا فى بيان رسمى تحرر فرسان الهيكل من أوهامهم، واعترف أن الدلائل كانت فى أغلبها شائعات، واعترافات منتزعة بالإكراه، لا تكفى لإدانتهم.. ورغم أن الأب المقدس كان مقتنعًا بجريمتهم، فإن ما تم كانت فيه الكفاية بالنسبة لهم.

لعنات المعلم الكبير:

معظم الذين أيدوا اعترافاتهم السابقة أطلق سراحهم. أربعة من كبار الفرسان، من بينهم المعلم الكبير، أنكروا اعترافاتهم عند المحاكمة، ثم عادوا واعترفوا ثانية، فحكم عليهم بالسجن مدى الحياة. وتم النطق بالحكم فى اجتماع علنى أمام كاتدرائية نوتردام فى باريس.



قبل أن يتم حرق المعلم الكبير جاك دى مولاى، أطلق لعناته على الملك والبابا والوزير..
وبعد ستة أشهر مات الملك فيليب على يد خنزير برى، فى رحلة صيد

ثم حدثت المفاجأة..خطب المعلم الكبير جاك دى مولاى قائلاً للحشد: «أعترف أننى مذنب حقًا بالعار الأكبر، لكن ذلك العار كان الكذب، بقبول الاتهامات المقززة التى تم توجيهها إلى نظامى.. وأعلن الآن أن النظام برىء»، إلى أن قال: «لقد وهبتنى

المحاكمة الحياة، ولكن على حساب أن أخون، ويمثل هذا الثمن لا تكون الحياة جديرة بأن تعاش..». وفعل مثله أحد رفاقه، فكسب الفرسان تعاطفًا جارفًا من الجمهور، مما اضطر الجند إلى سحبهما من الميدان.

أسرع الملك فيليب بالتدخل، فتم حرقهما فى صباح اليوم التالى، وبحضوره ووسط جمهور المشاهدين، وعندما أحاطت بهما النيران، صاح جاك فى الجمع الملكى: «البابا كليمنت، الوزير جويوم نوجارى، الملك فيليب، إنى أحيلكم إلى محاكمة السماء قبل نهاية هذا العام، لكى تنالوا عقابكم العادل.. عليكم اللعنة.. عليكم اللعنة!».

بعد شهر من هذا مات البابا كليمنت. وتبعه الملك فيليب بعد ستة أشهر، وقد مات فى رحلة صيد. أما الوزير نوجارى - الذى لعب دورًا كبيرًا فى هدم فرسان الهيكل - فقد مات بعد ذلك بعدة أسابيع.. فى ظروف غامضة.. وهكذا تحققت لعنة المعلم الكبير.

جماعات العودة الثانية
فى أوقات الشعور بالخوف والاضطهاد

يتحدث أنجاس هول، صاحب كتاب «العقائد الغريبة»، عن فكرة العقائد التى تقوم على فكرة عودة المسيح.. أو جماعات العودة الثانية، وكيف أنها تنتشر فى الأوقات التى يشعر فيها الناس بالخوف والاضطهاد، وفقدان الأمل.

فى هذا يقول أنجاس هول: «غالبا ما يظهر المسيح العائد، عندما يشعر الناس بالخوف والاضطهاد، فيبحثون عمن يمكن أن يقودهم خارج هذه المتاعب. كان ذلك هو الحال فى بدايات القرن السادس عشر، بألمانيا والأراضى الواطئة، عندما بدأ الفلاحون الفقراء فى الاعتقاد بأن ما يعانونه من سوء المحاصيل، والتضخم المتصاعد، وانتشار الأوبئة، هو من علامات قرب نهاية العالم، وعودة المسيح إلى الأرض..».

وقد ساعد الانقسام فى الكنيسة الكاثوليكية الرومانية، الذى أحدثه مارتن لوثر عام ١٥١٧، على فتح الباب واسعا لتكوُّن العديد من الطوائف.. ومن بينها طائفة «التعميد الثانى»، والتى قالت بأن التعميد فى الطفولة لا معنى له، وأن الشخص لابد أن يُعمَّد بعد البلوغ. استمدت هذه الطائفة أتباعها من الفقراء، وبخاصة الفلاحون، وكانت تبشر بأن الحكومة القائمة على وشك السقوط، وأن الفقراء سيخلدون، ويرثون الأرض وما عليها!

ومن أشهر هذه العقائد الدينية الحديثة، وأكثرها نجاحًا، وجذبًا للأتباع، والحصول على التبرعات السخية عقيدة «كنيسة التوحيد».

مون.. والخلاص المادي للإنسان:

مؤسس عقيدة كنيسة التوحيد هو سن ميونج مون. والذى زعم أن أتباع عقيدته يزيدون على مليونى شخص، فى جميع أنحاء العالم، معظمهم من الشباب بين العشرين والثلاثين. وكنيسة التوحيد تمتلك الآن عقارات وأراضى واسعة، خاصة فى الولايات المتحدة، وضمن ذلك المقر الرئيسى للكنيسة فى تاريتاون، بنيويورك.. بالإضافة إلى ما يصل إلى مائة مركز كنسى موزعة فى أنحاء البلاد.. فمن هو (سن ميونج مون)؟

ولد مون عام ١٩٢٠، فيما يعرف اليوم بكوريا الشمالية، عن أبوين مسيحيين. وعندما كان فى السادسة عشرة من عمره، عام ١٩٣٦، وفى يوم عيد الفصح، أعلن مون أن السيد المسيح أتى إليه، واختاره كنبى!

درس مون الهندسة فى اليابان بعض الوقت، وخلال صلواته أعلن أنه قد اكتشف: «عملية التاريخ ومعناه، والمعانى الأعمق للحكايات والرموز التى فى الإنجيل، وتوصل إلى هدف جميع الأديان..». عندما كان عمره ٢٦ عاما بدأ يعظ، فأدخله هذا فى تناقضات مع حكومة كوريا الشمالية، فحكم عليه بالسجن ثلاث سنوات. وعندما انتقل بعد ذلك إلى كوريا الجنوبية، ما لبث أن وجهت إليه الاتهامات هناك بأسباب أخرى: الاحتيال،

والعلاقات الجنسية غير الشرعية.. إلا أن السلطات لم تتمكن من تقديم الأدلة الكافية للقضاء، وكلما ذكرت هذه الواقعة فى تاريخه، ردد أتباعه أن التهم كانت كيدية.

لم يقتصر نشاط مون على الجانب الدينى، كما قد يتصور البعض، تكشف على مدى السنين عن رأسمالى عتيد، فأقام شبكة من الصناعات تبلغ قيمتها عدة بلايين من الدولارات. وفى عام ١٩٧٤م، تولى مون منصب رئيس مجلس إدارةشركات عديدة فى كوريا الجنوبية واليابان والولايات المتحدة الأمريكية.. وقد تنوع نشاط هذه الشركات، من العقاقير الصيدلية، إلى البنادق الهوائية، إلى التيتانيوم، إلى الشاى!

نيكسون.. والطريق إلى الله:

وفقا لرواية مون، فإن الله طلب منه أن يحمل رسالته الدينية إلى أمريكا، وأنه عندما وصل إلى نيويورك عام١٩٧٢، وجدها بعيدة عن الله مما جعله يبكى. بعد وصوله حصل على تأشيرة إقامة دائمة، وعرف أن تلك البلاد، بشعبها الطيب هى الأرض الخصبة التى سيزرع فيها رسالته، ويجنى منها - فى نفس الوقت - ملايين الدولارات، والكثير من النفوذ عند أعلى الشخصيات والأجهزة!

على شبكة الإنترنت، يمكن أن تجد بسهولة مئات الصفحات التى تعرض الجوانب المتناقضة لهذه الشخصية العجيبة: سن ميونج مون.

ستجد قصة أخرى كاملة لانتقاله من كوريا الجنوبية إلى أمريكا.

فى عام ١٩٦٥م، حيث كان يعمل مع فرع وكالة المخابرات المركزية الأمريكية فى كوريا الجنوبية، جرى ترتيب دخوله إلى الولايات المتحدة، وحظى فيها بلقاء استمر ثلاثة أرباع الساعة مع الرئيس الأمريكى الأسبق دوايت أيزنهاور.. وقد أذن أيك (اسم التدليل لأيزنهاور) أن يتم استخدام اسمه على رأس خطابات «المؤسسة الكورية للحرية الثقافية»، التى أنشأها مون.. وحصل على هذا أيضا من الرئيس الأمريكى الأسبق هارى ترومان، والأدميرال آرلى بيرك، على الأغلب باعتباره من أشد خصوم النظم الشيوعية.

وفى وسط أزمة الرئيس نيكسون، المعروفة باسم فضيحة ووترجيت، اجتذب مون انتباه الإعلام الأمريكى، بدفاعه المستميت عن نيكسون . كان قد استطاع استقطاب آلاف الأتباع، ونظم مظاهرة جابت أنحاء البلاد حتى وصلت إلى مقر الرئيس الأمريكى فى كابيتول هيل، تحمل لافتات تقول «سامحوا.. أحبوا.. واتحدوا..». وكان مون يخطب فى الجماهير قائلاً: إن منصب رئيس الولايات المتحدة مقدس، وأن «الله قد اختار ريتشارد نيكسون لكى يكون رئيسا للبلاد.. لهذا، فإن الله هو الذى لديه سلطة صرفه».. فما كان من نيكسون إلا أن بعث يوم ١١ ديسمبر من ذلك العام، برسالة تقدير لمون وكنيسة التوحيد التابعة له شاكرا الدعم الذى قدموه..

وعندما وصل مون بمظاهرة تأييد نيكسون إلى البيت الأبيض، حيث خرج نيكسون لتحية المظاهرة، معانقا مون.. قال مون لنيكسون بصوت مرتفع سمعه الجمهور: «لا تخضع للضغط، وابق واقفا بإيمان راسخ».

المسيح الثانى:

العقيدة التى روَّج لها مون، تقول: إن يسوع كان المسيح الأول، غير أن المسيح الثانى ولد فى كوريا عام ١٩٣٠م (سنة مولد مون!). وأن يسوع أنجز الخلاص الروحى للبشرية، لكنه لم يكمل الخلاص المادى للإنسان.

مبادئ الجماعة يتضمنها كتاب «المبادئ المقدسة»، وهو كتاب من ٣٥٦ صفحة يضم كتابات مون. وأتباع الجماعة لا يرون تناقضًا فى فكرة ترقب المسيحيين لمسيح آخر. غير أن المجلس القومى لكنائس المسيح رفض إعطاء عضويته لكنيسة التوحيد، لأنها لا تقبل الاعتراف بأن يسوع المسيح هو المسيح الوحيد. معظم أتباع مون يصفون أنفسهم بأنهم أتباع الإيمان الصحيح. والكثير منهم قطعوا روابطهم العائلية ليمضوا الساعات الطويلة فى خدمة الجماعة، وفى جمع التبرعات لها، وفى دراسة كتابات مون.

أقلية صغيرة من الجماعة انسلخت عنها وانقلبت عليها، وقال بعضهم إن الجماعة أخضعت لتكتيكات تستهدف هدم شخصيتهم، وأنهم كانوا يعانون نتيجة لقلة ساعات النوم،

والنظام الغذائى الفقير!.. لقد كانت كنيسة التوحيد هدفًا متكررًا لاتهامها بعمل غسيل مخ لأتباعها.

كانت الهجمات على مون وكنيسة التوحيد متعددة المصادر.. من بينها أنها تحاول برمجة عقول الأعضاء صغار السن، وإخضاعهم لضغط نفسى. والد فتاة فى الثامنة عشرة من عمرها، قال أمام محكمة واشنطن، إن الكنيسة مارست ضغطا شديدا على ابنته، بحيث أصبحت غير قادرة على التصرف وفق إرادتها الحرة.

وفى فبراير عام ١٩٧٦م، توجه أكثر من ٣٠٠ شخص، من أمهات وآباء أفراد الجماعة إلى واشنطن، قدموا من أنحاء البلاد، فى محاولة لإقناع الحكومة بفتح تحقيق حول كنيسة التوحيد، وغيرها من الجماعات الشبيهة. وكانت دعواهم أن تلك الحركات خادعة وخطيرة، وتسعى إلى القيام بعمليات «غسيل مخ» لأبنائهم.

قديس.. أم نصاب؟!

من أهم الدراسات التى تمت على مون وكنيسة التوحيد، تلك التى ظهرت فى كتاب بعنوان «المونيون»، أى أتباع مون، للباحثيْن هارى مارتن ودافيد كاول. يقول الكتاب:

«لا يترك مون فى فلسفته مكانًا للشك حول مكانته ومكانة كوريا فى نظر الله!. فمون يزعم أنه المسيح الجديد، وأن كوريا هى الدولة التى اختارها الله.. ويقول (هذه هى ذروة سعى الله على مدى ٦٠٠٠ سنة، لإنقاذ الإنسان من سقطة آدم).. ويقول مون لأتباعه وضحاياه إن الله كشف له عن ذلك عندما كان

صبيا، ثم يضيف (قال الله: أنت الابن الذى كنت أبحث عنه، والذى يمكنه أن يبدأ تاريخى الأزلى)».



سن ميونج مون، صاحب عقيدة «كنيسة التوحيد»، فى حفل تكريمه مع زوجته..
مع كثرة أمواله وأتباعه، ظل يثار السؤال دائمًا «قديس أم نصاب؟!»

ثم يقول المؤلفان، يمكن للكاهن «سن ميونج مون» القول بأنه عودة آدم والمسيح، لكن هذا لا يمنع أنه قد تمت مواجهته باتهامات فى تقرير للكونجرس من ٤٤٧ صفحة، تتضمن الرشوة، والنصب على البنوك، وعقد الصفقات غير القانونية، والاتجار فى السلاح بطريقة غير قانونية. كذلك تم اتهامه بمحاولة العمل سرًّا لبناء سلاح نووى لحساب كوريا. ويقول تقرير الكونجرس: إن كنيسة التوحيد المنسوبة لمون، تأسست عام ١٩٦١م، على يد مدير مكتب المخابرات المركزية فى كوريا، كيم تشونج بيل، كأداة سياسية لجهاز المخابرات الأمريكى.

ويضيف الكتاب: أن التحقيقات الفيدرالية التى تمت حول الشئون المالية لمون، قادت إلى المحاكمة عام ١٩٨٢م، بتهم التآمر، والتزوير فى حسابات الضرائب. وهكذا أرسل مون إلى مؤسسة الإصلاح الفيدرالية فى دانبرى، بولاية كونيكتيكات. وبقى هناك لمدة ١٣ شهرا.

بلايين مون من اليابان!

رغم هذا كله، استطاع مون تكوين ثروة خرافية تقدر ببلايين الدولارات. ويقول الكتاب إن منظمة مون أنفقت مبالغ تثير الريبة داخل الولايات المتحدة، فى محاولة للتأثير على الحكومة. لقد أنفق أكثر من ٨٠٠ مليون دولار على جريدة «واشنطن تيمز» وحدها، وهى الجريدة التى أنشأها وحظيت بتأييد كبار رجال الحزب الجمهورى، وكبار الرأسماليين من أصحاب الاحتكارات الكبرى. ويضيف الكتاب أن هذا بالإضافة إلى مئات الملايين،

التى أنفقها على المطبوعات الدورية، والمجلات التى كانت تدعم نفوذه. كما أنفق عشرات الملايين على وسائل الإعلام الإلكترونية، وعلى الأقل ٤٠ مليون دولار على صحف نيويورك.

كانت المشكلة أن هذه الاستثمارات بملايين الدولارات لم تكن تحقق عائدا كافيا، لقد كانت جميع مشروعات مون الاقتصادية خاسرة!. وكانت أكثر مشاريع كنيسة التوحيد خسرانا، صحيفة «واشنطن تيمن» ذات التأثير والنفوذ الكبيرين، فقد كانت هذه الصحيفة تخسر ما يصل إلى ٥٠ مليون دولار سنويا.

وفى التحقيقات التى واجهها مون أمام اللجنة القضائية لمجلس الشيوخ الأمريكى، شهد أن أمواله تأتيه من خارج البلاد. ومن المستبعد أن يعنى بذلك كوريا، فمشروعاته الاقتصادية هناك كانت تخسر أيضًا.

الثابت، أن معظم أموال مون تأتى من اليابان. فعلى ما يقرب من ٢٠ سنة، كان يتلقى دعمًا من أحد أهم مسانديه الماليين، وأحد أهم مستشاريه، ريوتشى ساساكاوا. ففى عام ١٩٦٩م، اشترك مون مع ساساكاوا فى إنشاء المؤسسة التى أطلقا عليها اسم (منشأة قيادة الحرية)، التى كان أساس نشاطها الضغط على الولايات المتحدة، لكى تأخذ موقفًا عدوانيًا من فيتنام. ومن أقرب مشروعات ساساكاوا إلى نفسه، المشروع الذى تكفلت به منظمة مون باسم «انتصر على الشيوعية»، الذى كان أحد آليات جمع الأموال لكنيسة التوحيد.. وكان ساساكاوا هو رئيس تلك المنظمة.

من الواضح أن ساساكاوا كان أحد كبار أثرياء اليابان. ومعظم أمواله أتت من صناعة زوارق السباق اليابانية. ومنذ أن أصبح سباق الزوارق قانونيًا، ومسموحًا به، حققت تلك الرياضة ١٤ مليون دولار. أما ساساكاوا، فهو يطلق على نفسه وصف «أغنى فاشيستى فى العالم»!

بزوغ القمر السيئ:

جون جورنفيلد، أحد المهتمين بظاهرة مون، كتب سنة ٢٠٠٣، معلقا - بسخرية - على نصائح مون لأتباعه، فى مجال المعاشرة الجنسية بين الأزواج، والتى نشرها مون عام ١٩٩٠ فى رسالة تحمل عنوان «إرشادات بالنسبة لشعيرة الأيام الثلاثة».

قال جورنفيلد: «للتغلب على السمعة السيئة لكنيسته، ولسجله الشخصى الإجرامى، سعى القس مون إلى تعميق روابطه بإدارة الرئيس بوش (الأب)، التى وفرت دعمًا حكوميًا لنشاطه».. ثم يتكلم جورنفيلد عن غرابة الدعاوى التى يطلقها مون، ويصنع منها رسالته المقدسة!. ويسأل معقبًا على رسالة مون «إرشادات بالنسبة لشعيرة الأيام الثلاثة».. أى نوع من العادات الجنسية الطبيعية يدعو إليه؟

ويستطرد قائلاً: إنه وفقًا لمون، ومن أجل أن تستعيد نقاء الدم، هناك ممارسات محددة، منصوح بها. وهو يبدأ باستبعاد الممارسة الجنسية قبل الزواج. وأن ممارسة العلاقة بين الزوجين

يجب أن تخضع لتعليمات محددة تماما. أولا، يجب أن تكون فى المكان صورة فوتوغرافية لمون فى مكان واضح بالمكان، بحيث يتم كل شىء تحت نظر المبجل (يقصد نفسه، مون).. ثم يدخل المبجل بعد ذلك فى تفاصيل أوضاع الزوجة والزوج على مدى الأيام الثلاثة الأولى.. بل ويصر على ضرورة استخدام (المنديل المقدس) الذى تبيعه الكنيسة، فى تنظيف الزوج والزوجة نفسيهما بعد انتهاء علاقتهما!!

بوش الأب يتغزل فى مون!

وكالة رويتر للأخبار كانت قد نقلت عن مكتبها فى بوينس أيريس، يوم ٢٥ نوفمبر ١٩٩٦، وقائع رحلة مون إلى البرازيل وأورجواى، التى رافقه فيها الرئيس الأمريكى الأسبق، جورج بوش الأب. وجاء الخبر فى الوكالة تحت العنوان التالى: بوش يثنى على مون باعتباره «رجلاً صاحب رؤية».

يقول الخبر: إن الكورى الجنوبى الأفنجيلى(نسبة إلى مذهبه هو وبوش) سن ميونج مون افتتح هذا الأسبوع صحيفة جديدة باللغة الإسبانية، موجهة إلى كل أمريكا اللاتينية، بمساندة الضيف جورج بوش، الذى أثنى على احترام مون لاستقلال تحرير الصحيفة. وقد كان الرئيس السابق للولايات المتحدة هو المتحدث فى مأدبة السبت الماضى، احتفالا بالإصدار الجديد لمون «تييمبوس ديل موندو»، وكان حديثه مليئًا بالمديح للجريدة الأفنجالية المشهورة والمثيرة للجدل، واشنطن تيمز، وقال بوش عن مون «هذا الرجل صاحب الرؤية».

ثم سافر بوش مع مون، يوم الأحد، إلى جمهورية أورجواى المجاورة، ليسانده فى افتتاح الدورة الدراسية التى نظمت فى العاصمة مونتفيديو، لتدريب ٤٢٠٠ شابة يابانية على نشر رسالة كنيسة التوحيد، التى أنشأها مون، فى أنحاء أمريكا اللاتينية.

أوردت رويتر أقوال بوش الأب، عندما قال: «أريد أن أحيى الكاهن مون، الذى أسس (واشنطن تيمز)، والجريدة الجديدة هنا..»، ثم قالت رويتر: إن واشنطن تيمز نشرت أن بوش قد قبض مائة ألف دولار من مون لكى يصحبه فى رحلة أمريكا اللاتينية..

ثم، من أمريكا بلد العجائب تأتى قصة جورج بيكر، الأب المقدس، صاحب السيارة العرش!

الأب المقدس..

من العبودية إلى نعيم «السيارة العرش»!

وقريبًا من حكاية المدعى الكورى، عميل المخابرات المركزية الأمريكية - ولكن مع لمسة فخفخة وأناقة - نجد جورج بيكر، الأمريكى الأسود الذى أطلق على نفسه «الأب المقدس».

ولد جورج، عام ١٨٨٠، لأبوين سبق لهما الحياة كعبيد، فى مزرعة أرز بكارولينا الجنوبية.. لكن جورج، مات عام ١٩٦٥م، كمليونير، وكمعبود، كإله هبط إلى الأرض. وخلال ثلاثينيات القرن الماضى، عندما بلغت جماعته قمة رواجها، وصل عدد أتباعه إلى مئات الآلاف (و هو يزعم أنهم وصلوا إلى ٢٠ مليونًا).

فى بداية حياته، انضم جورج بيكر الشاب لسنوات قليلة إلى قائد جماعة من الإفنجليست ببلتيمور، كان يطلق على نفسه اسم (جيهوفيا) التى تعنى الرب، وأطلق على بيكر لقب «الرسول»!.. فى عام ١٩١٤م، بدأ بيكر نشاطه الخاص، وكان يطلق على نفسه لقب (الرب)، واجتذب عددًا هائلاً من الأتباع السود فى جورجيا. فى عام ١٩١٥، وبعد متاعب مع السلطات، نصح بمغادرة جورجيا، فاتجه إلى نيويورك.

فى نيويورك، اختار بيكر لإرساليته موقعًا لا يتوقعه أحد، سايفيل فى لونج أيلاند، حيث معظم السكان من البيض. فى عام

١٩٢٧، لم يتجاوز جمهوره ٤٠ تابعًا. ثم بدأ الجمهور يتزايد بشكل منتظم عندما شرع فى دعوة الناس إلى موائد طعام شهية للعشاء مساء كل أحد. وبعد وقت قصير، وسع نطاق المهام التى تتكفل بها إرساليته، بأن أنشأ فيها وكالة لتشغيل العاطلين من الأتباع. وكان الذين يحصلون على الوظائف يتبرعون بمعظم مرتباتهم لنشاط بيكر، الذى أصبح يعرف باسم «النعيم».

الأب المقدس.. والأمانة!

فى عام ١٩٣٠، مر جورج بحالة «الولادة الثانية»، باعتباره (الأب المقدس). وجمهور أتباعه المتزايد بصفة دائمة تقبل قدسيته.. يقول الكاتب أنجاس هول: «ليس من الصعب فهم قبول قدسيته، فرغم أنه لم يكن مؤثرًا من الناحية الجسدية، لأنه كان قصيرًا بشكل ملحوظ، غير أنه كان صاحب (كاريزما) هائلة. والأكثر من هذا أنه كان بطلهم، فى وقت لم يكن فيه للسود أبطال، لا فى الشمال ولا فى الجنوب.. لقد كان يطعمهم، ويدبر لهم العمل والوظائف.. حدث ذلك فى وقت الكساد الأمريكى الشهير، الذى قفزت فيه البطالة إلى أعلى معدلاتها، وحتى البيض كانوا فى ذلك الوقت جائعين وبلا عمل.. طبعًا بالإضافة إلى ما قاله لهم من أنهم قد تحقق لهم (الخلاص)، وأنهم لن يموتوا أبدًا!.. وما إن حل عام ١٩٣٦، حتى كان عدد إرساليات السلام التابعة لبيكر فى الولايات المتحدة حوالى ١٦٠، يضم بعضها أعدادًا من البيض..».

لقد كان الأمر أكبر من مجرد ولائم الطعام والتشغيل.. كان على الأتباع التزامات معينة، ومن بينها الأمانة المطلقة.. كان بيكر يقول لهم «إما أن تكون أمينًا، أو تكون غير أمين.. حتى لو استحوذت على دبوس ليس لك، فهذه ليست أمانة». لقد منع أتباعه من قبول إعانات الحكومة، وبعض الأتباع الذين التحقوا بالجماعة بعد ذلك، أصروا على أن يعيدوا للحكومة الإعانات التى كانوا قد تسلموها فى أثناء سنوات الكساد!.. ومثل جماعة «جيش الخلاص»، اجتذبت إرساليات السلام الكثير من المجرمين التائبين.

ومثل معظم طوائف الإحيائيين (الذين يعملون على إحياء الروح الدينية والطرق والعادات السالفة)، كان التدخين واحتساء الخمر من المحرمات.. لكن الأمر لم يقف عند هذا الحد. العلاقات الجنسية - حتى بين الزوج وزوجته - كانت تعتبر خطيئة، ومن ثم ممنوعة. كان الرجال والنساء - فى إرسالية السلام - ينامون فى عنابر منفصلة.

«السيارة العرش»:

الذين كانوا خارج دوائر الجماعة، كانت نظرتهم إلى الأب المقدس مختلفة.. كان كريمًا فى ولائمه، لكن من مال من؟. كان أتباعه يسلمونه ٩٠ فى المائة من دخلهم، ليدخل ضمن مالية الجماعة، وكانت نسبة من ذلك المال تذهب إلى «الأب»، لكى يعيش على مستوى يناسب «الرب»!



جورج بيكر الذى أطلق على نفسه لقب «الأب المقدس»، صنع لنفسه سيارة العرش هذه، ينزلق جانب من سقفها، ويرتفع عرشه من داخلها، فيظهر مون عليه، لكى يحيى الأتباع!

كان لديه أسطول من السيارات، بما فى ذلك «السيارة العرش» الشهيرة.

كانت السيارة العرش المصممة والمصنوعة خصيصًا له، بقوة ٢٦٥ حصانًا، تضم عرشًا قابلاً للارتفاع من داخلها، بعد انزلاق جانب من سقف السيارة، ليظهر «الأب المقدس» فوق عرشه.

كان جورج بيكر فائق القدرة على تحريك أمواله، بحيث إنه لم يضطر لدفع شىء للضرائب.. وهذا التناقض بين دعوته المتحمسة للأمانة، وقانونها الذى فرضه بصرامة على أتباع

الجماعة، وسماحه لنفسه أن يُزوِّر لكى يتهرب من ضريبة الدخل.. هذا التناقض يعكس موقفه من الجنس.

تزوج «الأب المقدس» مرتين ـ تم الزواج الثانى عندما كان عمره ٦٦ سنة، من فتاة كندية عمرها ٢١ سنة ـ وكان يزعم دائمًا أن زيجاته كانت «روحانية» تمامًا. وكان نقاده يتشككون فى هذا، وقالوا إن الأب كان يحيط نفسه دائما بفتيات صغيرات، من البيض والسود، وكان يطلق عليهن الملائكة.. وإلى جانب وظيفتهن كزينة لمحضر الأب، كن يخدمنه كسكرتيرات.. لكن، وفقا للمخلصة مارى، التى كانت قد خرجت عن طاعة الأب، كانت لهؤلاء الفتيات واجبات أخرى تتجاوز حرفية أعمال السكرتارية.

فى شهادة مارى أمام المحكمة عام ١٩٣٧، فى أثناء محاكمة الأب المقدس، قالت «فى الدور العلوى، فى حجرة المقدس، فى الليل ومع الأضواء الخافتة.. كان من الممكن أن ترى المقدس يقوم بحركات غريبة، بينما كانت تستلقى على الأرض عدة فتيات من الملائكة، تهتز أجسادهن فى تشنجات جنسية، تخلع بعضهن جانبًا من ملابسهن، بينما تبدو الأخريات عاريات تمامًا».

كانت شهادة مارى هذه، عقب سحب سلطاتها فى التنظيم، وسحب الهدايا والمزايا التى كانت تتمتع بها، مما أثار حقدها على الأب المقدس ودفعها إلى اختراع تلك الشهادة. على أى حال، عادت مارى نادمة بعد سنتين إلى الجماعة، واعترفت علانية أنها كذبت فيما سردته من الاتهامات.

وقد اشتهر الأب المقدس بأن معارضته أو السخرية منه أو حتى عدم الاستجابة لطلباته، يمكن أن تقود إلى أن يلقى الشخص الذى يفعل ذلك ميتة عنيفة قاسية. فالممثل الكوميدى، ويل روجرز، الذى سخر منه وتهكم عليه بنكاته، لقى حتفه فى حادث فظيع للطائرة التى كان يستقلها. ومن بين الدلائل التى يحلو للأب المقدس أن يذكر بها أن إعدام موسولينى الدكتاتور الإيطالى، فى الأيام الأخيرة من الحرب العالمية الثانية، كان نتيجة لتجاهله طلب «الأب» بتنازل إيطاليا عن احتلال الحبشة.

لكن الذى أثار الكثير من الحرج والتساؤل والحيرة، هو موت «الأب المقدس» نفسه!

لقد كان الموت، فى هذه العقيدة، ينظر إليه دائمًا باعتباره نتيجة خطيئة كبرى اقترفها المتوفى، أو نتيجة عدم إيمان خفى بالعقيدة، لم يظهره أو يعترف به الشخص المتوفى.. لكن فى حالة «الأب المقدس»، لم يكن من الممكن الاعتماد على مثل هذا التفسير؛ لهذا، أعلن الأب المقدس من فراش الموت، أن ما يمر به أمامهم ليس هو الموت «إن ما يحدث لى هو أننى أصبح غير مادى.. وربما بعد ألف عام، أتجسد فى جسم آخر.. فى ذلك الوقت، سأعود إليكم..»!

التقاء الشرق بالغرب

بلافاتسكى.. وبعدها الطوفان!

لم تعد الأمور إلى سابق عهدها، منذ وصول أكثر من مهاتما، من مقرهم بالتبت.. هذا ما تقوله السيدة هيلينا بتروفنا بلافاتسكى، التى كانت أول من قدمهم إلى العالم الغربى فى سبعينيات القرن التاسع عشر. ورغم وصولهم بأجسادهم، إلا أنهم ظلوا منطلقين فيما هو أبعد من زمانهم ومكانهم!

فى بيت (أديار) بمدراس فى الهند، أسست السيدة بلافاتسكى المركز الرئيسى للجمعية الثيوصوفية. وقد لازمها فى غدوها ورواحها اثنان من هؤلاء المهاتما هما موريا، وكوت هومى.. وكانت تتعرف على وجودهما عن طريق النقرات التى تسمعها، ورنين الأجراس الوهمية!. والكثير ممن انضموا إلى الجمعية الثيوصوفية كان دافعهم المبدئى هو الرغبة فى تحقيق اتصال بهذه المخلوقات العجيبة الغامضة.

وكانت الجمعية الثيوصوفية هى صاحبة المحاولة الكبيرة الأولى لنقل الفلسفات والأفكار الدينية الشرقية إلى وعى وإدراك أهل الغرب.. وقد تأسست عام ١٨٧٥ فى شقة مدام بلافاتسكى، بميدان إيرفينج. أصبح بيتها مكان التجمع لكل أولئك المنجذبين إلى السحر، وإلى عقيدة الروحانية الجديدة (و كانت لبلافاتسكى سمعة واسعة كوسيطة)، وإلى كل أنواع العقائد الجديدة الخاصة.



السيدة هيلينا بلافاتسكى، مؤسسة المركز الرئيسى للجمعية الثيوصوفية،
فى بيت (آديار) بالهند.. بداية حماسية ونهاية مؤلمة!

وكان أحد المتميزين فى هذه المجموعة كولونيل هنرى ستيل صديق بلافاتسكى، وأشد المخلصين لدعوتها، وأحد الدارسين الخبراء فى مجال العديد من العقائد الخاصة.. خلال أحد تلك الاجتماعات فى بيت بلافاتسكى، حيث ألقيت محاضرة عن أثر

التركيبات السحرية على العمارة القديمة، أرسل ستيل قصاصة إلى بلافاتسكى كتب فيها «ألا يكون من الأشياء الطيبة العمل على إنشاء جمعية لمثل هذا النوع من الدراسات؟».. وبدأت الجمعية الثيوصوفية (أى الحكمة الإلهية) بإيماءة موافقة من بلافاتسكى.. وتخصصت فى المعرفة الحدسية بالله، والإدراك الغامض بالوحدة بين البشر والذات الإلهية، كما عرفها بعض أصحاب القدرات الخاصة فى كل من الشرق والغرب.

البحث عن الكنوز الروحية بالهند:

فى السنوات الأولى، لم تحقق الثيوصوفية سوى تقدم طفيف، وكان من الطبيعى أن تفكر بلافاتسكى مع الكولونيل ستيل فى السفر إلى الهند، لزرع الأفكار الجديدة فى تربة الهند الخصبة.

فى عام ١٨٧٩م، تركا كل ما لهما فى نيويورك، واتجها إلى بومباى. وكان استقبالهما من جانب الهنود حماسيًّا.. كانوا سعداء، ومفاجئين فى نفس الوقت، للقاء أشخاص من الغرب قدموا إليهم، لا ليفرضوا أديانهم على الهنود، ولكن لكى يتعلموا حكمة الشرق.

ولم يكن غريبًا أن تعتبر الإرساليات المسيحية وصول الثيوصوفيين تخريبًا لجهودهم.

تنقلت بلافاتسكى مع الكولونيل هنرى ستيل طويلاً فى الهند. وفى واحدة من رحلاتهما إلى سيلان، حظيا باستقبال حماسى من البوذيين السيلانيين، وهكذا قررا اعتناق البوذية. وكان أن

انتشرت الثيوصوفية انتشارًا واسعًا، خلال أربعة أعوام من مقدمهما إلى الهند، وأمكنهما تأسيس ١٠٠ فرع لجمعيتهما فى أنحاء البلاد. ونجحا فى تشييد مقر رئيسى للجمعية فى مدينة (أديار)، بالقرب من مدراس، يتميز بالفخامة والجمال.. وما زال هذا البناء يستخدم كمقر الجمعية الثيوصوفية حتى اليوم.

وكانت أهم حجرة فى البيت، هى «حجرة العقيدة»، التى كانت محور نشاط نجمى الثيوصوفية القادمين من أوروبا.. فقد كانت تلك الحجرة، همزة الوصل بين أتباع العقيدة، وحلقة المهاتما، حاملى المعرفة العليا، فالمهاتما، كيان نجح فى الوصول إلى درجة عالية من القدرة الروحية، وهو مستعد أن يساعد البشر الذين لا يزالون يجاهدون من أجل الوصول إلى مراحل التنوير. ومهاتما كلمة هندية، ترجمتها «الروح العظيمة». تطلق على أولئك الواصلين القادرين على القيام بالرحلات الروحية عبر الزمان والمكان، والقادرين على التلاشى والظهور أمام أعين البشر.

«حجرة العقيدة» وبداية المعارك:

«حجرة العقيدة» كانت تضم ضريحًا أو مقامًا مقدسًا، يحجبه ستار. وكانت رسائل الأتباع واستفساراتهم تصل إلى تلك الحجرة، لتنتقل منها إلى مجمع المهاتما، الذى كان يجيب عن التساؤلات بعدة طرق. بعض المهاتما كانوا يظهرون فى الحجرة، وبعضهم كان يتجسد، فيسقط فجأة من سقف الحجرة، أو من فرع شجرة!

في معظم الحالات، كانت السيدة بلافاتسكي تتسلم الإجابات من المهاتما، وتسلمها لأصحاب التساؤلات بنفسها.. لكن القاعدة الأهم كانت هي: لا اتصالات يمكن أن تتم مع المهاتما، دون وساطة بلافاتسكي.

ذات يوم، قرر سينيت، مع ثيوصوفي آخر قادم أيضًا من إنجلترا يدعى هيوم، أن يتحركا لمواجهة هذا الاستئثار غير اللائق من جانب بلافاتسكي، بأن يقوما باتصال مباشر مع رئيس جميع المهاتما، الكاهن الأكبر. كتبا خطابًا له، يقولان فيه: إنه من أجل أن يستطيعا نشر حقائق الثيوصوفية بين غير المستنيرين، يجب أن يكونا قادرين على العمل بعيدًا عن بلافاتسكي. وكالعادة في رسائل المهاتما، قام سينيت بتسليم الخطاب لمدام بلافاتسكي، لكي تضعه في المقام.

بعد وقت قصير، اندفعت بلافاتسكي إلى الحجرة التي يعمل بها سينيت، وقد أعماها غضب شديد، فما كان منه إلا أن استدعى هيوم، وعكفا معًا على تهدئتها، دون نجاح ملموس. من الواضح أن إيمان سينيت وهيوم بحكاية مجمع المهاتما كانَ قويًا لدرجة أنها لم تهتز بهذه الواقعة!

انكشاف الأكذوبة:

سافر سينيت إلى لندن بهدف نشر الثيوصوفية فيها، وشاع أنه حظي برسائل من مهاتما كبير اسمه كوت هومي، عن طريق وسيطة أمريكية تدعى لورا هولواي. شعرت بلافاتسكي بضرورة وجودها قليلاً في لندن حتى تتدارك انفلات النشاط.

أثناء وجودها فى لندن، جرت أمور أخرى فى المركز الرئيسى للنشاط فى «آديار».

من بين الذين تركتهم لرعاية شئون المقر فى آديار بالهند، مدام كولومب، التى كانت تحمل ضغينة للرئيسة بلافاتسكى، نتيجة انتقاصها جانبًا من استحقاقات كولومب المالية.. فبدأت بالكلام مع بعض الأتباع، ثم بعض الإرساليات المسيحية فى المدينة.. قالت لهؤلاء جميعا إنه لا وجود لأى مهاتما فى المقر، وإن الرئيسة كانت قد استخدمت زوج كولومب، لصناعة عدة أبواب مسحورة بهدف إلقاء خطابات السائلين منها، حتى يخيل للجميع أن هناك أحد المهاتما يتسلم تلك الخطابات. وعلى الفور، ظهرت القصة فى منشورات الإرساليات المسيحية، التى أعلنت بارتياح «انهيار كوت هومى»!

ومما زاد الطين بلة، أن جمعية أبحاث ما وراء الطبيعة كانت قد أرسلت دكتور ريتشارد هودجسن ليتعرف على نشاط الثيوصوفية على أرضها.. فوصل آديار بينما كانت بلافاتسكى والكولونيل غائبين عن المدينة. طلب أن يرى المقام المقدس، فاصطحبه بعض الثيوصوفيين المحليين، وراحوا يتفحصون المقام بأنفسهم، قائلين «كما ترى.. الحائط متين وقوى..»، لتكذيب قصة الأبواب السحرية، وفى نفس الوقت قام فريق آخر بإحداث ثغرة فى الحائط، لتظهر منها حجرة نوم السيدة بلافاتسكى!

بعد زيارة قصيرة من بلافاتسكى للهند، نصحها الأتباع بالمغادرة، لمصلحتها، ولمصلحة الجمعية. وهكذا أمضت

السنوات القليلة الباقية من عمرها فى أوروبا، تؤلف كتابًا كبيرًا بعنوان «المذهب السرى». الطريف فى الأمر، أن أحد أتباعها المقربين سلوفويوف، حاول أن يعرف منها حقيقة مسألة مجمع المهاتما. وفقًا لما ذكره بعد ذلك، أنها أخيرًا اعترفت «ماذا يفعل المرء عندما تكون السيطرة على الرجال تفرض عليك أن تخدعهم؟!.. أن تريهم دُمَى وألعابًا لكى تحظى بانجذابهم..».

هذه النقيصة من جانب بلافاتسكى لم تقض على الثيوصوفية، فالعديد من الناس، بما فى ذلك نخبة من الأشخاص المتميزين، قد تأثروا من دراسة كتاباتها، مثل توماس إديسون والشاعر ييتس ولورد تنيسون.. وفى الهند واصلت العقيدة انتشارها وتأثيرها خلال القرن العشرين. وضمت الجمعية الثيوصوفية شخصيتين سياسيتين هامتين، جواهر لال نهرو وغاندى.

واليوم، تناقص عدد أتباع الجمعية الثيوصوفية كثيرًا، وفى نفس الوقت انتشرت عدة حركات تستوحى الشرق، فى أوروبا والولايات المتحدة.. نورد جانبًا منها فيما يلى:

فيدينتا.. أو نهاية الفيدا

من بين العقائد الهندية التى انتشرت، وما زالت منتشرة فى الغرب، عقيدة «فيدينتا».

عرف الغرب هذه العقيدة لأول مرة عام ١٨٩٣، على يد شاب هندى لافت للنظر، يدعى فيفيكاناندا. أوفده راجا من راجاوات الهند كمندوب إلى (برلمان الأديان)، الذى عقد من خلال معرض شيكاغو العالمى. وصل فيفيكاناندا بلا ترتيب سابق، وبمبلغ قليل من المال، وبلا اتصالات أو معارف. وببساطة، عن طريق قرع الأبواب، استطاع أخيرًا أن يلتقى بشخص استطاع تقديمه إلى سكرتير برلمان الأديان.

وعندما حل موعد افتتاح البرلمان، استطاع فيفاكاناندا أن يجتذب اهتمام الجميع. كان حليق الرأس تمامًا، يضع رداء أحمر طويلاً، مربوطًا من الوسط بحبل برتقالى، وكان يضع على رأسه عمامة صفراء لافتة. سمحوا له أن يلقى خطابًا على أعضاء البرلمان. ورغم أن أحدًا لم يفهم شيئًا مما قاله، إلا أنه أثار الجميع بشكله وحديثه.

بعد انتهاء انعقاد البرلمان، اتخذ مقرًّا له فى أحد الشوارع الجانبية فى نيويورك، فاجتذب أعدادًا من الجمهور، إلى حد أنهم كانوا يستمعون إليه وهم جلوس على الدرج الخارجى للبيوت التى فى ذلك الشارع. وعلى عكس الكثير من قادة العقائد الهندية

الـروحـيـة، كـان فـيـفـيكـانـاندا شديد الإيـمـان بـأهـمـيـة السلامـة الجسمانية. وفيما بعد، كان يرسل رجالاً إلى القرى، يعالجون المرضى، ويساعدون في الأعمال اليدوية.. بل وأحيانًا يحفرون المراحيض في بيوت الفلاحين.

في عـام ١٩١٦م، كـان لـمـجـتـمـع «فـيـديـنـتـا» فـروعـه فـي سـان فرانسيسكو ولوس أنجلوس وبوستون وبيتسبيرج وواشنطن. وكـان يـتـم دعـوة عـدد مـن الـمـعـلـمـيـن الـهـنـود فـي هـذه الـمـراكـز لمساعدة وإرشاد الدارسين حول كيفية الوصول إلى حالة الإدراك الأعلى.

ومع معلمي فيدينتا، تدفق تنوع من الهنود: سوامي وجورو ويوجي. كان بعضهم جادًا، وباقيهم مزيفًا، جاء يركب موجة الاهتمام المستجد بسحر الهند.

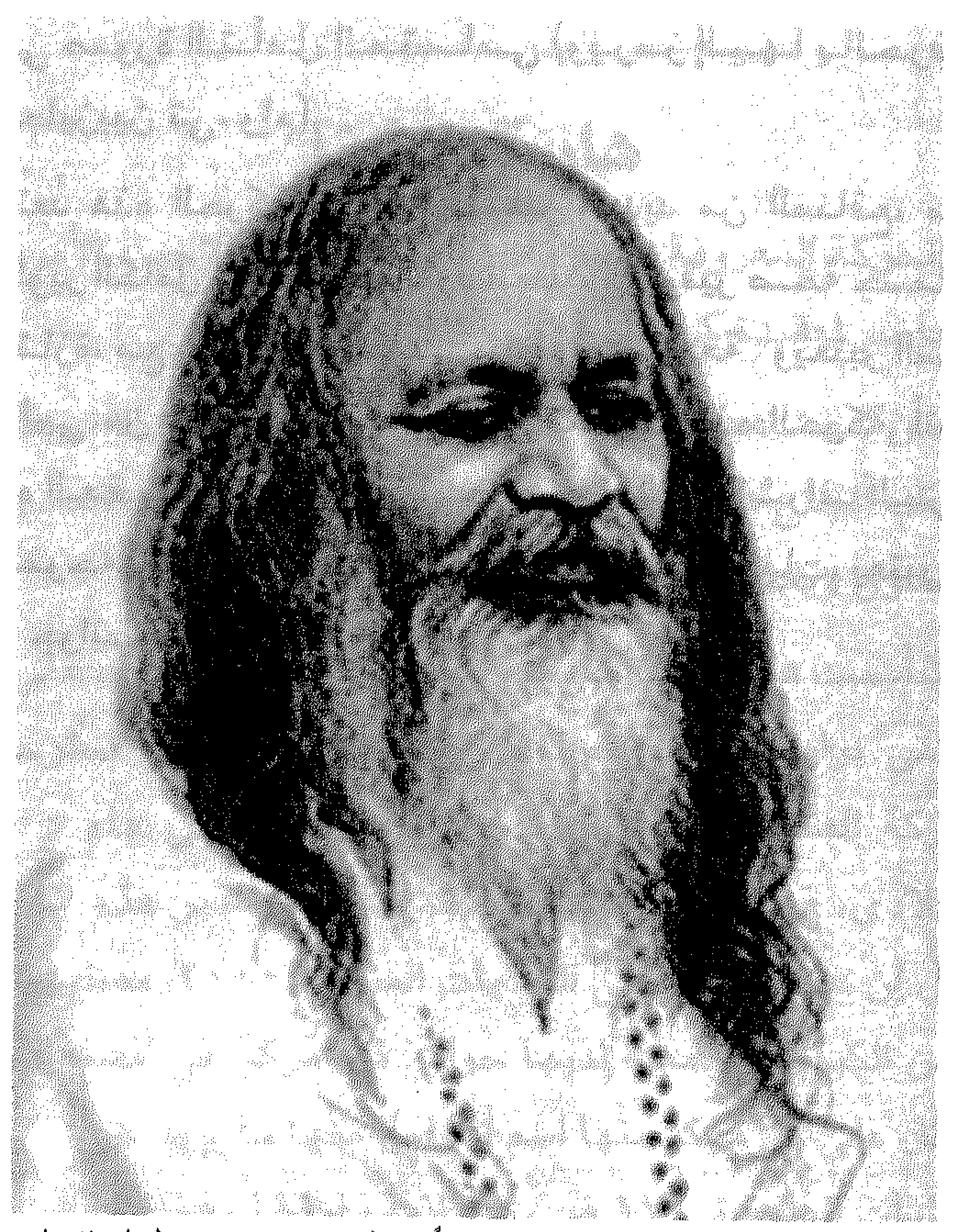
عقيدة «قوة الزهرة»

ومن بين الجادين، كان مهاريشى يوجى، الذى عرف فى الغرب باسم (مهاريشى).

لقد ذاعت شهرته نتيجة لاجتذابه عددًا من مشاهير الأتباع، مثل نجوم موسيقى البوب الإنجليز «البيتلز»، والممثلة السينمائية ميافارو. كان مهاريشى يظهر دائمًا وهو يحمل الزهور، كرمز لرسالة الحب والسلام.. ومن هنا اكتسبت حركته اسم عقيدة «قوة الزهرة».

العقائد التى من هذا النوع تقوم على عدة أسس وبرامج، كالتفكير التأملى، واليوجا، والإدراك الممتد، والإدراك الكونى، إلى آخر تلك المسميات. وتعاليم هذه العقائد تميل إلى الغموض، أكثر من العملية.. كل عقيدة من هذه العقائد يرأسها قائد، يقول إنه قد وصل إلى درجة من التنوير تتجاوز بكثير الممارسين العاديين الذين قد ينضمون إلى العقيدة.

أكبر التنظيمات فى هذا المجال التأملى، التنظيم الذى يمتد عبر بحار وقارات العالم، تحت قيادة مهاريشى ماهيش يوجى، الهندى الذى لا يعرف أحد عمره على وجه التحديد.. هذه الحركة، عادة ما يُنظر إليها من جانب الرأى العام باعتبارها تقنية غير دينية أو طائفية من تقنيات التأمل والتفكير المتسامى.



مهاريشى القادم من الهند، اجتذب إلى حركته عددًا من المشاهير، مثل نجوم البيتلز الإنجليز، والممثلة السينمائية ميا فارو، كان يحمل الزهور دائمًا، كرمز للسلام

فى بدايات القرن الماضى، كان مهاريشى ماهيش من أتباع جورودیف، أحد قادة الهندوسية الفيداتية (الدين الرئيسى فى الهند)، وواحدًا من أكبر الرجال المقدسين تأثيرًا فى الهند، وقد تعلم مهاريشى منه تقنيات اليوجا، التى قام بعد ذلك بتبسيطها

علـى صـورة الـتـأمـل الـمـتـسـامـى (ويـرمـز إلـيـهـا بـالـحـرفـين الإنـجليزيين تـى، وإم).

تَعِدُ هذه الحركة أتباعها بتوفير العديد من المنافع، منها التطوير الكامل لإمكانيات الفرد العقلية، وتوفير صحة جسمانية ممتازة، مع سلوك اجتماعى سليم بالطبيعة.. ويُعتبر السلام العالمى من بين هذه المنافع التى تعد بها هذه الحركة. أتباع هذه العقيدة يمرون ببرامج تدريب، تحت إشراف المرشد أو الموجه. وتعلُّم تقنيات اليوجا وإجادة هذه التقنيات، يعتبر من أهم جوانب ذلك البرنامج.

هار كريشنا

الحركة المعروفة باسم «هار كريشنا»، هى الإحياء الأمريكى المعاصر لعقيدة كريشنا الهندية القديمة.

من المشاهد الشائعة فى شوارع بعض المدن الأمريكية، مواكب أتباع هذه العقيدة، بملابسهم الصفراء الفاقعة، وهم يرقصون ويغنون تعبيرًا عن ولائهم للإله كريشنا.

تأسست هذه الحركة فى نيويورك عام ١٩٦٦م، على يد سوامى برابوبادا. أما حركة كريشنا الأصلية، التى استوحتها الحركة المعاصرة، فقد كان أول ظهورها حوالى عام ١٥٠٠ الميلادى، فى بلاد البنجاب. الجمعية التى تدير هذه الحركة تقول إن عدد أتباعها فى الولايات المتحدة ٣٠٠٠، معظمهم فى المدن الكبرى. الجمعية لديها حوالى ٥٦ مركزًا فى أنحاء العالم (يطلق على كل مركز منها اسم أشرام)، منها ما يزيد على ٣٠ فى الولايات المتحدة، و١٧ فى بريطانيا وفرنسا وهولندا وألمانيا، و٨ فى دول الكومنولث، و٤ فى الهند.

معبد مدينة نيويورك لجماعة هار كريشنا، يقيم فيه ١٢٠ من الأتباع، من بينهم ٢٠ امرأة.. عشر منهن متزوجات من رجال المعبد. معظم الأتباع من الأمريكيين، أما متوسط الأعمار فيبلغ ٢٣ سنة.

بمجرد دخول الأتباع فى صفوف الحركة، يعتبرون حياتهم السابقة صفحة مطوية، فيتخذ كل منهم اسمًا جديدًا، ويُقسمون على الامتناع عن تناول اللحوم والسمك والبيض والخمور، ويتعهدون بعدم التدخين أو الدخول فى علاقات جنسية خارج إطار الزوجية.. وكذلك عدم التفكير أو الكلام فى كل ما لا يسمح به كتابهم المقدس!

تعتقد هذه الطائفة أن «كريشنا» هو «الكيان الأعلى للألوهية»، الذى يسكن جميع الأرواح. وهم يعتقدون أنه بالتركيز على كريشنا، وبالتغنى الدائم بأدعيةٍ هار كريشنا (و التى تتكرر ٢٠٠٠ مرة كل يوم)، وبإنكار الملاذّ المادية والحسية، يستطيع الإنسان أن يتحرر من الدورة اللانهائية للمرض والشيخوخة والموت والبعث.. والواجبُ الأساسى للحركة، هو إشاعة هذه الرسالة فى جميع أنحاء العالم.

و«جورو كولا» مدرسة الطائفة فى مدينة دالاس بتكساس، أصبحت مزدهرة، يأتى للعيش فيها أبناء الأتباع من جميع أنحاء أمريكا، لكى يتعلموا كل شيء عن هذه الحركة.. صغار الأطفال يتعلمون اللغة السنسكريتية، ومبادئ الإنجليزية والحساب وبعض الجغرافيا والتاريخ.. على أن يأتى هذا كله من خلال عقيدة كريشنا.

سوامى برابوبادا، مؤسس هذه الطائفة، ولد فى كلكتا بالهند عام ١٨٩٦م. اعتزل عمله الناجح فى تجارة الكيمياويات، كما اعتزل عائلته وعلاقاته بالمجتمع، حتى يهب حياته بالكامل

لنشر الوعى بكريشنا. فى السبعين من عمره، عام ١٩٦٥م، أصبح كاهنًا هندوسيًّا، وسافر إلى الولايات المتحدة.

فى مدينة نيويورك، بدأ عمله مع المنبوذين من المجتمع، وشباب الهيبى، وبالتدريج استقطب عددًا من بينهم. وفى عام ١٩٦٨م، افتتح مطبعة خاصة به، تطبع اليوم حوالى نصف مليون نسخة من المجلة التى يصدرها شهريًّا. ويؤمن سوامى برابوبادا أنه حلقة من الحلقات المتواصلة، والتى تصل إلى كريشنا المقدس، من خلال عملية التناسخ الممتدة إلى خمسة آلاف عام.

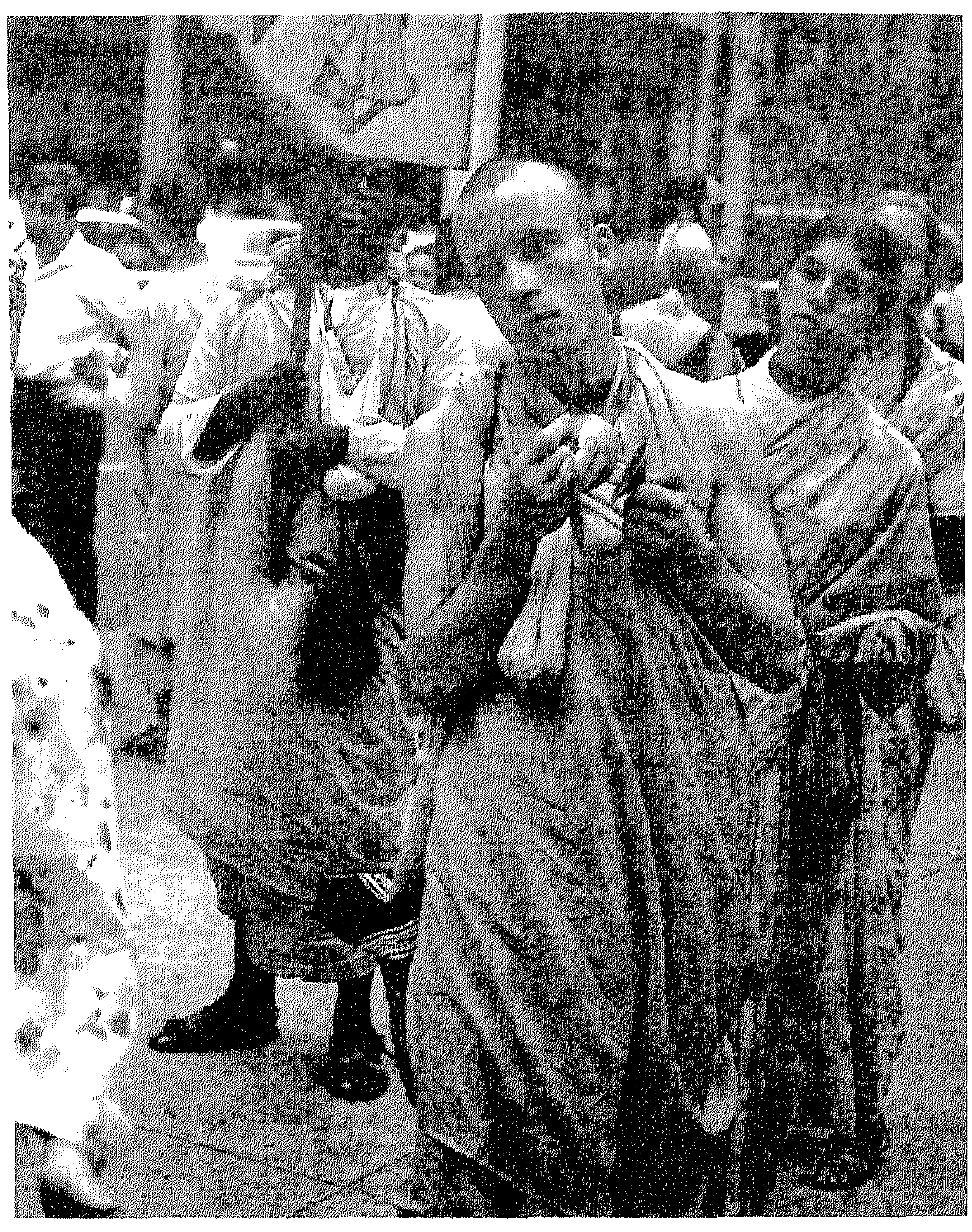
سوكا جاكاى اليابانية

سوكا جاكاى، جمع لعدد من العامة الذين يمارسون عقيدة (نتشيرين ـ شو ـ شو) البوذية.. والترجمة العربية لتعبير سوكا جاكاى هى «مجتمع خلق القيم».

تأسست هذه الجماعة فى اليابان عام ١٩٣٧م، على يد المعلم ماكيجوتشى نسو نيسابارو، لتحيى تعاليم القديس البوذى نتشيرين الذى عاش فى القرن الثالث عشر، والذى كان زعيمًا وطنيًا متحمسًا، هاجم جميع المؤسسات الدينية والسياسية اليابانية فى عصره. وعقيدة سوكا جاكاى، أحيت الوطنية القومية التى عرف بها نتشيرين، منها مبدأ تكريس الحياة لتحسين الأوضاع السياسية والاجتماعية. وقد قادت تعاليم نتشيرين إلى قيام العديد من الطوائف، لكن لم يكتب لها أن تقوى وتتدعم إلا بعد ظهور جماعة سوكا جاكاى، فى القرن الماضى.

خلال الحرب العالمية الثانية، عانت الجماعة كثيرًا من اضطهاد الحكومة اليابانية. وعندما توفى ماكيجوتشى فى السجن عام ١٩٤٤م، قام تلميذه المقرب تودا جوساى بإحياء الحركة عام ١٩٤٦م، وأعطاها اسمها الحالى.. ثم خلفه فى قيادتها إيكيدا دايساكو.

فى عام ١٩٦٤م، أنشأت الجماعة حزبًا سياسيًا يابانيًّا، عرف باسم (كوميتو)، التى تعنى الحكومة النظيفة. وكحزب



هؤلاء البوذيون القادمون من آسى، لينشروا العقيدة البوذية.. تراهم كثيرًا بملابسهم الصفراء الغريبة فى شوارع نيويورك

وطني قومي حصل على عدد من المقاعد في كل من المجلسين النيابيين. وقد عارض الحزب إعادة تسليح اليابان، كما عارض ظاهرة الثراء الفاحش. وفي عام ١٩٧٠، واجه الحزب هجومًا حادًّا بدعوى سعيه إلى إقامة حكومة فاشية، وإلى جعل سوكا جاكاي الدين الرسمي للدولة. في أعقاب هذا الاتهام، تم فصل الحزب عن جماعة سوكا جاكاي. وجرى تقدير عدد أعضاء الجماعة عام ١٩٧٤م بنحو عشرة ملايين.

في عام ١٩٦٠م، أنشأت سوكا جاكاي «أكاديمية نتشيرين – شو – شو»، في الولايات المتحدة. وسعت بكل نشاط إلى اجتذاب غير اليابانيين إلى عضويتها. وفي عام ١٩٦٧م، أعلنت قيادة الأكاديمية في مدينة سانت مونيكا، بكاليفورنيا، انضمام ١٥ ألفًا إلى عضويتها، من بينهم عدد من الشخصيات الرياضية والفنية المرموقة.

لماذا كل هذه العقائد الآن؟

لماذا تتراكم هذه العقائد القديمة والأحدث فى عالم اليوم، بكل فصائلها: العنيفة، والسياسية، والعاطفية، والدينية.. التى تتكاثر وتختلط، من الشرق والغرب؟.. هل نحن فعلاً فى حاجة إلى مثل هذه العقائد؟.

فى كتابه عن الغرائب يقول لورانس جاد «طالما بقيت ظروف عدم الاستقرار والخلط سائدة فى عالمنا، وما دامت هذه الظروف التى تضطر عددًا كبيرًا من الناس إلى البحث عن ملاذ من المشاكل التى لا حل لها قد بقيت فإن انتعاش وازدهار العقائد والجماعات الخاصة سيتزايد، ففى مثل هذا المناخ، تصعب مقاومة إغراء اندفاع الإنسان نحو هذه التنظيمات ذات القوة، التى تعفى الأتباع من عبء اتخاذ القرار، فيما تعدهم بإشباع ذواتهم».

فى البيئة التى يفقد فيها نظام الحياة ـ الحكومة، والمجتمع، والأسرة، والدين التقليدى ـ القدرة على سد احتياجات الفرد. يرى لورانس جاد أن إغراء الجماعة يكمن فى صغر حجمها، وفى انتقائيتها فى معظم العقائد الخاصة تكون شخصية القائد، جارفة الكاريزمية من أهم عناصر الجذب، والملاحظ أن أثر مثل تلك الشخصية يكون قويًا فى الجماعات الصغيرة، وأقلَّ تأثيرًا فى الجماعات الكبرى.

ما أوردناه من عقائد شعبية وجماعات خاصة، وما لم يسمح المجال باستعراضه، يفيد أنه مع تنوعها الشديد، فى كثير من العناصر، إلا أنه من الممكن أن نرصد بعض السمات المشتركة فى معظمها:

(١) أنها تلبى احتياجًا حيويًّا لدى أتباعها لا توفره طبيعة الحياة فى المجتمع، إلى حد استعدادهم للتضحية بالمال والحياة، من أجل تلك الجماعة.

(٢) هذه الجماعات تتكاثر فى زمن التغيرات العميقة الشاملة، كالتى نعيشها هذه الأيام، نتيجة لاهتزاز الأسس التى قامت عليها حياتهم لزمن طويل، دون أن تكون الأسس الجديدة قد استكملت تشكلها.

(٣) هذه الجماعات توفر لدى الفرد إحساسًا بذاته، وتوفر فى نفس الوقت الشعور بالانتماء القوى.. كما تشعر الفرد بأهميته، وبدور له فى الحياة.

(٤) توفر السرية، بما تخلقه من إثارة، وشعور بالأهمية.

(٥) الجماعة تعفى الأتباع من مسئولية اتخاذ القرار، خاصة فى وقت تتعقد فيه الحياة، وتسقط قيمة الخبرة، ولا تفيد السوابق، مما يجعل اتخاذ القرار محنة.

(٦) معظم الجماعات تسعى إلى تغييب عقول الأتباع، إما بالمخدرات والخمور، وإما بعمليات غسيل المخ المنظمة

التى تقوم بها قيادة الجماعة. كما تسعى إلى إضعاف علاقات العضو الأسرية والمجتمعية، وأيضا إضعاف إحساسه بالملكية عن طريق الاستيلاء على أمواله وممتلكاته ودخله.. والتركيز على أن قيادة الجماعة هى التى تمتلك جميع الحلول لحياته.

المحتوى

أحـــدث إصـــدارات

الأستـــاذ

رَاجي عِنَايت

- الابتكار والمستقبل.
- أفيقوا يرحمكم الله.
- حكايتى مع المستقبل.. أزمة مستقبل مصر.
- أمريكا.. إلى أين؟!
- الأشرار داخل النظام.
- سلسلة (عجائب):
  - أعجب البشـــر.
  - أعجب الأماكن.
  - أعجب قدرات العقل البشرى.
  - أعجب الظواهر الغامضة.
  - أعجب العقائد الخاصة.
  - أعجب الكائنات.
- سلسلة (عالم جديد لجيل المستقبل):
  - بيت المستقبل.
  - الانتقال فى المستقبل.


نهضة مصر
للطباعة والنشر والتوزيع



سلسلة عجائب ٥

أعجب العقائد الخاصة

- معظم العقائد الحديثة تندرج تحت واحد من الأنماط التالية: الدينية، أو التأهيلية، أو الساعية إلى تعميق الإدراك، أو الأصولية، أو العسكرية، وفى جميع الأحوال، تكون من الظواهر التى تستحق الدراسة.
- المذبحة التى تمت فى منزل منعزل على الطراز الريفى، بالقرب من مدينة لوس أنجلوس، عثرت فيه الشرطة على خمسة رجال مقتولين، ومعهم الممثلة السينمائية المعروفة شارون تيت!!
- الحسن بن الصباح، وحقيقة أسطورة الجنة الموعودة التى كان أتباع جماعته من الحشاشين يزورونها.
- فى مقر الحب، جرت مراسم زفاف القس برس إلى العذراء «عروس الحمل»، فارتكب الشيطان إثمه الأخير!
- وسط لندن كانت تجتمع جماعة «الفجر الذهبى»، وسط القناديل والبخور.. والتنين الأحمر.
- القصة العجيبة لنهاية ساحرات سالم على يد الفتيات المراهقات، فى نيو إنجلاند.
- الماسونية الغامضة، بين صراعها مع كنيسة روما، وتآمرها السياسى فى الثورة الفرنسية، والنشاط اليهودى المزعوم.
- النهاية المأساوية لفرسان الهيكل.. نجوم الحروب الصليبي
- مون، الكورى الجنوبى، صاحب كنيسة التوحيد، وعم الأمريكية، والبلايين التى تدفقت عليه فى أمريكا قادمة م
- ماهاريشى، صاحب عقيدة « قوة الزهرة»، اجتذب مشاه نجوم البيتلز، والممثلة السينمائية ميا فارو.



